

## حزب الله والأزمة اللبنانية

تقرير الشرق الأوسط رقم 69 – 10 تشرين أول (أكتوبر) 2007

## جدول المحتويات

I.....	ملخص تنفيذي وتوصيات	1
1.....	1. الأقسام الطائفي	1
1.....	أ. التصدع الطائفي المتعمق	1
5.....	ب. التأييد الشيعي لحزب الله	5
5.....	1. حاجة الشيعة إلى الأمن	5
8.....	2. الحرب	8
10.....	3. حشد القوى الشيعية الأخرى	10
12.....	ج. العلاقات مع غيرها من الجماعات الطائفية	12
12.....	1. الانشقاق مع الإسلاميين السنة	12
15.....	2. التحالف مع عون	15
18.....	2. المقاومة بعد الحرب	18
18.....	أ. معادلة عسكرية جديدة	18
20.....	ب. التركيز على السياسات الداخلية T	20
21.....	1. حماية المقاومة	21
23.....	2. احتواء النفوذ الأمريكي	23
24.....	3. هوية حزب الله الإسلامية	24
27.....	4. حزب الله و"محور الشر" الجديد	27
27.....	أ. استقلال نسبي مع خطوط حمراء	27
29.....	ب. طبيعة التحالفات مع سوريا وإيران T	29
32.....	5. الخلاصة	32
	ملحق	
35.....	أ. خارطة لبنان	35

## حزب الله والأزمة اللبنانية

### ملخص تنفيذي وتوصيات

الشيعة من الحكومة ونزلت إلى الشارع وتحركت في سبيل الإطاحة بها. إن لجوء حزب الله إلى سياسات الشارع، يعتبر أمر خطير والذي هو في نهاية الأمر عبارة عن هزيمة ذاتية. وبالنسبة للدعم الشيعي لحزب الله، فقد تضافر ذلك وتضامن على كل صعيد اجتماعي تقريبا وكان ذلك ناجما عن جهود طويلة المدى قامت بها الحركة الشيعية (حزب الله) لتوحيد وتقوية سيطرتها على المجتمع المحلي وعلى بيئة جرى استقطابها بدرجة كبيرة أعقبت الحرب مع إسرائيل. أما الخصوم السابقين من الشيعة فقد قاموا، في الوقت الحالي، بإسكات خلافاتهم، معتبرين الأسلحة التي يملكها حزب الله تشكل أفضل دفاع عنهم ضمن بيئة يشعر بها الشيعة بأنهم محاصرون من الداخل ومن الخارج. ومع ذلك، ففي الوقت الذي أثبتت به الحركة كفاءتها في تعبئة الجماهير وأنها تتمتع بدعم قطاع هام من الطائفة المسيحية، فإن استخدامها للقاعدة الشيعية بشكل رئيسي في محاولة منها للإطاحة بحكومة تهيمن عليها طائفة سنية قد عمل تقوية وتعزيز تحالفات وولاءات طائفية. فالسنة وعدد كبير من المسيحيين قد تنبهوا إلى قوة وقدرة حزب الله الأحادية الجانب على البدء بمواجهة مدمرة تصيهم، ونظروا إلى الحركة الشيعية وبشكل متصاعد باعتبارها حركة شيعية وليست حركة وطنية وباعتبارها حركة تطرح أجندة إيرانية أو سورية وليس أجندة لبنانية. وباختصار، فبينما كانت الحركة تسعى إلى إبراز المخاطر السياسية للصراع فإن معارك الشوارع قد اتخذت طابعا عقائديا أجبرت حزب الله على الدخول في قيود طائفية عملت على تهديده بأن تصرف انتباهه عن غاياته وأهدافه الأساسية.

كما أن هناك معضلات أخرى أمام حزب الله في لبنان. فنشر الجيش الوطني اللبناني وقوات مسلحة تابعة للأمم المتحدة على حدود لبنان مع إسرائيل قد قلص بدرجة كبيرة هامش الفعالية العسكرية للحزب. كما تم أيضا إرهاب القاعدة الاجتماعية الشيعية للحزب وأصابها الإنهاك بفعل الحرب والتي قد نجمت عن حملة عسكرية مكثفة قامت بها إسرائيل. هذا بالإضافة إلى التوترات الطائفية التي عملت على تقييد كفاءة وفعالية الشيعة في السعي نحو ملاذ ضمن طوائف لبنانية أخرى في حال تجدد المواجهات مع إسرائيل. وهكذا، فقد اضطر حزب الله إلى اتخاذ وضعية دفاعية وإلى أن يستعد للصراع وإلى القتال إلا أن الحزب سيكون بعيد كل البعد عن التلهف والتحمس لمثل ذلك القتال.

وعلى ما يبدو فإن حزب الله يسعى إلى حل يعمل على نزع فتيل التوترات الطائفية وأن يعكس وضعيته العسكرية الجديدة. وسوف يشكل القلق الذي يظهر على الحزب فرصة سانحة يتم بموجبها

بالرغم من تراجع الأزمة اللبنانية عن تصدر عناوين الأخبار إلا أن تلك الأزمة لم تنته. ففي الوقت الحالي، تتجه كافة الأنظار بكل تركيز نحو الانتخابات الرئاسية والتي تشكل الحلبة الأحدث في الصراع الدائر بين القوى الموالية للحكومة والمعارضة لها. ومع ذلك، وحتى وإن وجد مرشح تسوية يتم الاتفاق عليه فإنه بذلك لن يحل كافة المشاكل الكامنة وعلى رأسها وضعية سلاح حزب الله. وإذا كان اختيار رئيس الجمهورية سوف يكون أكثر من مجرد مقدمة تمهد للحسم القادم، فإن المطلوب من كافة الفرقاء اللبنانيين ومن حلفائهم في الخارج الابتعاد تماما عن أية مطالب متطرفة وإن يتفقوا على صفقة موحدة يتم بموجبها قبول الوضع المسلح لحزب الله كما هو عليه الحال الآن و بذات الوقت يتم فرض قيود على تلك الطرق التي يمكن لحزب الله أن يستخدم سلاحه فيها.

وعندما ينظر الفرد اللبناني إلى الوراء على امتداد الشهور العشرة الماضية، فسيكون بإمكان ذلك الفرد أن يشعر بأنه إلى حد ما متمتع بالراحة. فقبل عشرة شهور، أي في شهر كانون الأول (ديسمبر) 2006 كانت هناك مظاهرات ضخمة جرت في لبنان، أعقبها إضراب عام ومصادمات تمت بين القوى الموالية للحكومة والمعارضة لها وهي تحمل مضامين وإيحاءات طائفية قوية وحدث في ذلك الوقت أيضا سلسلة من الاغتيالات وتفجيرات السيارات التي عملت على دفع الشعب اللبناني بشكل خطير إلى حافة الانهيار. ومن الناحية الفعلية، فقد أصاب الشلل مؤسسات الدولة وبالكد أن يكون لدى الحكومة أية سيطرة وقد تعمقت الأزمة الاقتصادية وأخفقت جهود الوساطات بين الفرقاء اللبنانيين وتواصلت أعمال الاغتيال السياسي وأعدت المليشيات تسليح نفسها متوقعة أن يتجدد الصراع. وفي الوقت الحالي، قام زعماء كل طيف من الأطياف من الناحية الفعلية بالتراجع بخطوة ترحيبية إلى الوراء بسبب المخاوف التي ستتجم عن عواقب أعمالهم الذاتية.

وهناك توضيح هام يشرح من خلال إدراك حزب الله بأن جهوده في الإطاحة بالحكومة اللبنانية سوف يكون لها عواقب وخيمة. ولكون حزب الله يواجه مطالب تنادي بنزع سلاحه وتشجب مغامراته (وهم يزعمون بأنها ذات منشأ خارجي) كانت قد تسببت في إشعال حرب تموز (يوليو) 2006، فإن الحركة الشيعية (حزب الله) قد استنتجت بأن حكومة فؤاد السنيورة والأطراف الداعمة لها هم عبارة عن فاعلين معادين للحركة وهم يقصدون تقليص حجم الحركة ويقصدون أيضا جعل لبنان منحازا إلى جانب الغرب. ونتيجة لذلك، قامت الحركة بنقل الصراع بكل صلابه وقوة إلى المسرح المحلي وقامت أيضا بسحب الوزراء

استراتيجية دفاعية وطنية مناسبة وأن يقتصر استخدام تلك الاستراتيجية لأغراض دفاعية (أي في حالة تعرض لبنان إلى عدوان خارجي)

2- إعطاء فرصة للقيام بعمل دبلوماسي لحل مشكلة منطقة مزارع شبعا المتنازع عليها من خلال تعليق وتأجيل أية أعمال عسكرية قد يتم القيام بها في تلك المنطقة

3- قبول القرار رقم 1701 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وقبول المحكمة الدولية التي تتناول مسألة اغتيال الحريري،

4- الدعوة إلى تطبيع العلاقات مع سوريا من خلال فتح السفارات وترسيم الحدود بين البلدين وحل قضية اللبنانيين المفقودين.

(ج) عقد اتفاق جماعي يتم به تجميد التشكيل والحشد العسكري الجاري حالياً ومنع التصعيد في الحرب الكلامية وعلى وجه الخصوص في وسائل الإعلام.

#### توصيات إلى الحكومة اللبنانية القادمة:

2. أن تقوم بتجديد المباحثات مع كافة الأحزاب السياسية اللبنانية حول استراتيجية دفاعية وطنية.
3. أن تجعل من مزارع شبعا أولوية من أولوياتها بحيث تركز أولاً على حل يستدعي وضع المزارع تحت الوصاية المؤقتة للأمم المتحدة.
4. أن تبدأ بمعالجة الضعف في النظام السياسي من خلال تبني قانون انتخابات جديد أكثر عدلاً ومساواة وإن تعين من جديد مجلساً دستورياً.

#### توصيات إلى حزب الله:

5. أن يعالج المخاوف الكامنة لدى الطوائف اللبنانية الأخرى، من خلال:

(أ) تبني ميثاقاً جديداً يحل محل وثيقة التأسيس في العام 1985 التي تدعو إلى تأسيس دولة إسلامية،

(ب) توضيح موقفه تجاه الدولة اللبنانية وإن يعلن عن الإصلاحات المحددة التي يدافع الحزب عنها،

(ج) قبول لا لبس فيه للصفقة الموحدة المذكورة أعلاه وعلى وجه الخصوص أن يتعهد بالعمل

إحراز بعض التقدم حول مسألة وضع سلاح الحزب. ومن الطبيعي أن لا يقوم حزب الله بعقد تسوية بأي ثمن. فليدع أولويات واضحة كل الوضوح هي: أن يتم الحفاظ على أسلحته وإن تتم حماية لبنان وكذلك الشرق الأوسط من نفوذ إسرائيل والولايات المتحدة من خلال ما يطلق عليه اسم محور الرفض الذي يشمل سوريا وإيران وحركة حماس. وإذا ما شعر الحزب بوجود حاجة لديه بذلك فسيقوم على الأرجح بإدامة الشلل السياسي في لبنان حتى وإن كان ذلك على حساب المزيد من تفجير الطوائف غير الشيعية ومن خلال تعبئة وتحريك جماهيره الانتخابية وإن كان ذلك على سبيل المخاطرة بحيث يقلص نفسه بطريقة لم يشهدها من قبل ليصبح حركة طائفية وليقوم بحماية المصالح السورية أو الإيرانية وحتى إن كان ذلك على حساب سمعته الوطنية.

ومن الواجب على الأطراف اللبنانية وحلفائهم في الخارج السعي نحو عقد صفقة موحدة بمستوى إجراء ترتيب محلي يعمل على فرض قيد على استخدام أسلحة حزب الله بينما يتم في الوقت نفسه تأجيل مسألة تلك الأسلحة، وبكلمات أخرى أن لا يتم حل المشكلة ولا يتم تجاهلها. وسوف لن تكون عناصر تلك الصفقة سهلة من ناحية التفاوض ولن تكون بمثابة دواء شاف شامل جامع، وأنها (أي عناصر الصفقة) ستنجح في أحسن الأحوال تأجيلاً مريحاً مؤقتاً لالتقاط الأنفاس. وبدون توفر إصلاح سياسي جوهري فإن النظام السياسي اللبناني المستند إلى تقاسم السلطة بين فصائل طائفية، سوف يعمل بشكل حتمي على تشجيع نشوب أزمات دورية متسلسلة وإلى طرق مسدودة أمام الحكومة وإلى عدم مسائلة وإلى نزعة طائفية. والأمر الأكثر أهمية من ذلك هو أن مستقبل لبنان مرتبط بطريقة معقدة مع صراع إقليمي قام بإحكام لبنان في صراع مسلح مع إسرائيل وعمل على شل سياساته وعلى دفعه إلى شفير حرب أهلية متجددة. وسوف لن يكون هناك أي حل مستدام بالنسبة للبنان دون وجود حل يتناول تلك المسائل أيضاً، بحيث تبدأ بالعلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل وسوريا وإيران.

#### التوصيات

توصيات إلى الأحزاب السياسية اللبنانية وإلى حكومات الدول الأجنبية المعنية بما في ذلك حكومات الولايات المتحدة وفرنسا وسوريا وإيران:

1. أن تسعى إلى الخروج من الأزمة السياسية اللبنانية من خلال التفاوض أو التشجيع على التفاوض لعقد صفقة موحدة تشمل على العناصر التالية:

(أ) توفر خيار رئاسي توافقي (أي أن يكون التصويت على انتخاب رئيس جمهورية جديد في مجلس النواب اللبناني بنسبة الثلثين) وذلك لتجنب مخاطر الفراغ الرئاسي وأخطار وجود حكومتين،

(ب) وأن يتم تبني إعلان وزاري يبي المصالح الجوهرية لكافة الأطراف من خلال:

- 1- قبول مبدأ المقاومة ولكن فقط بان تكون كمرحلة انتقالية تؤدي إلى تنفيذ وتطبيق

بشكل منفرد بصفة دفاعية وان يلتزم بتعليق وتأجيل العمليات العسكرية في مزارع شبعا، و

(د) رفع الحصار عن مكاتب مقر رئيس الوزراء.

#### توصيات إلى سوريا:

6. أن تقوم بمعالجة المخاوف اللبنانية من خلال توضيح رغبتها في تطبيع العلاقات بقيامها بتبادل السفارات وفي ترسيم الحدود بين البلدين وأن تتخلى عن التدخل المباشر في الأمور السياسية أو العسكرية اللبنانية وان تعتمد بشكل صارم على الأدوات الشرعية اللبنانية (أي حلفاءها اللبنانيين التاريخيين واعتماد لبنان على سوريا في مجال التجارة) في تعاملها مع هذا البلد المجاورة.

#### توصيات إلى إسرائيل:

7. أن توافق على تسليم مزارع شبعا لتكون تحت وصاية الأمم المتحدة كإجراء مؤقت.

8. أن تمتنع عن أعمال انتهاك الأجواء اللبنانية والأعمال الاستفزازية الأخرى.

بيروت/بروكسل، 10 تشرين الأول (أكتوبر) 2007

## حزب الله والأزمة اللبنانية

### 1. الانقسام الطائفي

الرودود بين المسلمين السنة والشيعة بدرجة ملحوظة وهو تباين ظهر بشكل حاد بعد أن أصبحت التلميحات المحلية والإقليمية أكثر وضوحاً. فالطائفة السنية رأت في عملية الاغتيال على أنها محاولة مكشوفة من قبل سوريا لضعاف طائفتهم وبالتالي اجتناب تلك المناصب التي اقتضت على أفراد معينين والتي تمحورت حول "سعد الحريري" نجل رئيس الوزراء اللبناني المقتول، خاصة على خلفية أن العلاقات بين سوريا من ناحية وبين الولايات المتحدة وفرنسا من ناحية أخرى كانت تشهد تدهوراً كبيراً وكان تحالف 14 آذار (مارس) الذي تشكل حول نجل الرئيس قد استفاد من دعم عربي كبير P(T2T)P.

أما بالنسبة للطائفة الشيعية (ومعها الكثير من المسيحيين) فقد قامت برصد قلق لانتماء السنة. فلم يكن لدى الطائفة الشيعية شعور بأنهم ممثلين من قبل كتلة الحريري. وبالرغم من أنهم لم يكونوا منزعجين من رحيل القوات العسكرية السورية من لبنان إلا أنهم اعتبروا أعمال الشجب القاسية والمؤلمة المعادية لدمشق جزءاً من جهود رامية إلى إجراء تحول في التوازن الإقليمي وفي لجم حزب الله ومن ثم القيام في نهاية الأمر بنزع سلاحه وإضعاف الطائفة الشيعية. ومن ناحية الشعب اللبناني، فقد كان تفاعلهم واسع النطاق بدءاً من الخطوط العنقودية وانتهاءً بالعوامل المحلية والإقليمية الأخرى التي كانت قد حدثت على مدى السنوات الأربع الماضية (بما في ذلك القرار رقم 1559 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي دعا إلى نزع سلاح حزب الله وإلى إجراء تحقيق في اغتيال رفيق الحريري والعلاقات المتوترة مع سوريا والحرب العراقية والتوترات السنية/الشيعية المتزايدة بشكل حاد).

وكانت حرب تموز (يوليو) 2006 والأحداث اللاحقة لها قد عملت على تسريع هذه العملية. كما أن أداء حزب الله في تلك الحرب قد عمل على تجديد مخاوف الطوائف الأخرى حول إمكانيات الحزب العسكرية، تماماً كما عمل قرار الحزب الذي تم بموجبه البدء في تنفيذ المهمة الخاصة بخطف جنود إسرائيليين بدون موافقة الحكومة أو تحذيرها بشكل مسبق على إثارة الأسئلة حول قدرة الحزب على تعريض البلاد ككل للخطر على أساس حسابات "خاطئة" أحادية الجانب.

وضمن سياق التوترات الإقليمية المتصاعدة، رأى الكثيرون أيضاً، سواء كانوا على صواب أم لا، بان هناك يد إيرانية أو

في أعقاب حرب العام 2006 وصلت منزلة حزب الله في العالمين العربي والإسلامي ذروتها وكانت صور السيد حسن نصر الله ترفع في كل مكان بحيث كانت مضاهاته بالزعيم المصري السابق جمال عبد الناصر تزخر بشكل وافٍ، وقام حتى المسلمون السنة بالاحتفال بالمآثر والأعمال البطولية العسكرية التي حققتها هذه الحركة الشيعية بما في ذلك المسلمون السنة في الدول التي كانت أنظمتها السياسية في موقف حرج.

ومع ذلك، كان الوضع في لبنان مختلطاً. فقدرة حزب الله على صد الهجوم الإسرائيلي والرد عليه كانت مصدر فخر وارتياح إلا أن قوة الحزب العسكرية التي لم يتم كبحها إضافة إلى قدرته على إثارة حرب من جانب واحد والتي ترتبت عليها عواقب مدمرة قد أدت إلى تنبيه وتحذير الطوائف غير الشيعية في لبنان. ومع تزايد شعبية الحزب بشكل تصاعدي في أوساط طائفته الشيعية إلا أنه واجه هبوطاً سريعاً في شعبيته بين أوساط طوائف أخرى. وربما ما هو أكثر أهمية هو أن يكون التوتر بين الثقافة الشيعية العميقة لحزب الله وبين رغبته في أن تتم رؤيته كحركة مقاومة إسلامية تتعدى نطاق العقائد قد ظهر ليبرز في الطليعة. أما من الناحية التاريخية، فقد كانت الحركة الشيعية تكاد وتسعى كي لا تقوم باعتناق أجندة شيعية على وجه التحديد وكي لا يتم فهمها والنظر إليها من خلال عيون عقائدية محضة والتي تعمل على إبراز روابطها مع إيران الثورية، بل ليكون نضالها نضالاً أكبر شمولاً ضد إسرائيل وضد اضطهاد "الإمبرياليين". ومع ذلك، فعلى مدى السنوات القليلة الماضية، عملت سلسلة متوالية من الانتقادات السريعة على تعقيد هذه المهمة بشكل كبير بحيث دفعت حزب الله إلى ولوج منطق طائفي عمل على تقليص الاتفاق الجماعي السابق والمتعلق باحتفاظ الحزب بترسانته المسلحة المفروضة قسرياً.

### أ. التصدع الطائفي المتعمق

وفي تقرير سابق لكرايسز جروب وصفت سلسلة الأحداث المحلية والإقليمية التي قامت بتأجيج الفجوة الطائفية المتزايدة في لبنان P(T1T)P. وقد كان اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري بتاريخ 14 شباط (فبراير) 2005، وهو من الشخصيات السنية الفائقة، قد شكل نقطة تحول محددة واضحة كل الوضوح بالرغم من صعوبة تحديد تلك النقطة بشكل دقيق. ومن ناحية ردود الأفعال على عملية اغتياله، فقد تباينت تلك

P(T2T)P لقد اخذ هذا التحالف اسمه من المظاهرات الضخمة التي جرت يوم 14 آذار (مارس) 2005 المعارضة للوجود السوري في لبنان. أنظر تقرير كرايسز جروب عن الشرق الأوسط رقم 39 بعنوان "سوريا بعد لبنان، لبنان بعد سوريا"، 12 نيسان (أبريل) 2005.

P(T1T)P تقرير كرايسز جروب عن الشرق الأوسط رقم 48 بعنوان "لبنان: كيفية إدارة العاصفة التجميعة"، 5 كانون الأول (ديسمبر) 2005.

الحركة للتأكيد على المصالح السياسية (والتي هي على سبيل المثال شرعية المقاومة ودور وقواعد مشاركة قوات الأمم المتحدة في جنوب لبنان P<sup>(T6T)</sup> P<sup>(T6T)</sup> وميول الحكومة المؤيدة للغرب)، فإن معارك الشوارع قد اتخذت وبشكل سريع مظهرا من المظاهر العقائدية بحيث قامت بإثارة الشيعة ضد السنة في الوقت الذي قام به المؤيدون المسيحيون لسمير جعجع، وهو أحد الزعماء المسيحيين الأكثر بروزا ضمن تحالف قوى 14 آذار، بالاشتباك والتصادم مع المؤيدين المسيحيين للجنرال "عون". وهكذا، وبشكل لا مفر منه، تحولت المسائل السياسية إلى مسائل عقائدية، في إطار سلوك حافل بذكريات قديمة عن أكثر الفترات سوادا التي مرت على لبنان وهو ما يشكل تذكيرا بطبيعة عقلية الحرب الأهلية الراسخة المتعمقة بين اللبنانيين.

وبالرغم من البيانات الرسمية الاستقرازية والتحريضية بشكل كبير والتي تصدر عن المحطات التلفزيونية والإذاعية التابعة لحزب الله P<sup>(T7T)</sup>، فإن الحزب حاول بشكل عام أن يهدئ التوترات الطائفية. فهو الذي كان قد دعا وبطريقة تدريجية إلى تصعيد سياسي تمت على النحو التالي: قيام مظاهرات في شهر كانون الأول (ديسمبر) 2006 وقيام إضراب عام في شهر كانون الثاني (يناير) 2007 وقيام عصيان مدني في شهر آذار (مارس)، مع الأمل بأن تضطر الحكومة عاجلا أم آجلا إلى الإذعان والتخلي عن الحكم. كما ناضل الحزب في سبيل الحفاظ على الروابط مع المسلمين السنة وعلى حضورهم في الاجتماعات الحاشدة المثيرة للحماس وعلى تنظيم صلاة مشتركة سنوية شيعية يوم 8 كانون الأول (ديسمبر) 2006. كما قام الحزب برفض مقترحات تم تقديمها في شهر كانون الأول (ديسمبر) 2006 من قبل الجنرال "عون" ومن قبل "سليمان فرنجية" وهو أحد الزعماء السياسيين المؤيدين لسورية، تلك المقترحات التي كانت تدفع باتجاه القيام بمسيرة جماهيرية نحو مباني المقر الخاص بالحكومة، مقلدين بذلك النموذج الأوكراني P<sup>(T8T)</sup>.

سورية هي التي عملت على بروز تحذيرات متجددة حول "المحور الشيعي" P<sup>(T3T)</sup> P<sup>(T3T)</sup> وأما الموقف الغامض الذي اتخذته المملكة العربية السعودية والأردن ومصر خلال الحرب على لبنان، حيث قامت هذه الدول بانتقاد حزب الله وقامت أيضا، بحسب بعض التقارير، بالترحيب بالحملة العسكرية المطولة التي شنتها إسرائيل على حزب الله، فقد شجع على عملية الشجب التي عكست ذلك المحور المؤيد للولايات المتحدة وإسرائيل والذي شارك به ما يدعى بالأنظمة العربية المعتدلة. كذلك عملت الحرب وأثارها أيضا على تأكيد وجهة نظر حزب الله على أن حكومة السنيرة وحلفاءها كانوا في موقف عدائي وأنهم كانوا متواطئين مع أفعال تم دعمها من قبل الولايات المتحدة لإعادة رسم خارطة إقليمية ونزع سلاح المقاومة.

إن وصف حزب الله للبنان على أنها عبارة عن حلبة مواجهة محتملة لم يكن بالأمر الجديد، فقد كان ذلك بمثابة رد فعل على دعوات أطلقها زعماء سياسيين محليين مطالبين بنزع سلاح هذا الحزب الذي ازداد حجمه بعد اغتيال رفيق الحريري P<sup>(T4T)</sup> P<sup>(T4T)</sup> ولكن الحزب قام بتصعيد هجماته السياسية لدى شعوره بالمرارة جراء عدم كفاية تضامن الحكومة وفريق 14 آذار معه خلال المواجهات مع إسرائيل وجراء الانتقادات التقزيمية له بعد تلك المواجهات. وباختصار، فقد عملت حرب العام 2006 على شق صفوف الشعب والنظام السياسي في لبنان إلى جانبين هما: جانب الغالبية الشيعية، وهم أولئك الذين تحملوا الوطأة الكبرى للهجوم العسكري الإسرائيلي ورأوا في ذلك الهجوم مبررا لوجود أسلحة لدى حزب الله تشكل رادعا ضد أي تهديد حقيقي من قبل إسرائيل، وجانب الغالبية الأخرى التي قامت بالنواح على اتساع الدمار الذي حل بلبنان ورأوا في ذلك الدمار على أنه دليل يثبت بأن الخطر الأكبر كان مصدره تهور وطيش حزب الله. ومنذ نهاية الحرب الأهلية في العام 1990 لم تشهد لبنان مثل هذه الفجوة الفاصلة والعميقة.

وبحسب ما ستنم مناقشته لاحقا، هناك أزمة نشبت بفعل جهود بذلتها المعارضة استهدفت استبدال الحكومة عند قيام الوزراء الشيعية بالاستقالة (والذي يشكل بحد ذاته تعبيراً طائفياً) وعند قيام المظاهرات الضخمة والاعتصامات التي امتدت طويلا والتي عملت على شل أجزاء من مدينة بيروت. تلك الأزمة هي التي تعكس تصميم حزب الله على شل الحكومة التي تعتبر في نظر الحزب حكومة معادية ومناوئة. وحسب تصريح "محمود قوماطي" نائب رئيس المجلس السياسي لحزب الله إلى كرايسز جروب حيث قال بأن الحركة تريد "U" أن تكون قادرة إذا كان هناك داع لتأمين عملية اتخاذ القرارات P<sup>(T5T)</sup> P<sup>(T5T)</sup> ومع ذلك، فإن اللجوء إلى سياسات الشارع كان أمرا محفوفا بالمخاطر وهو ما تم اعتباره في النهاية قضية مهزومة ذاتيا لأنه سرعان ما تحول إلى نزاع طائفي. ومهما كانت كثرة الأعمال التي قامت بها

P<sup>(T6T)</sup> كانت قوات حفظ السلام الدولية المؤقتة في لبنان (اليونيفيل) متواجدة في لبنان منذ العام 1978 للحيلولة دون حدوث أي تصعيد على طول الحدود الإسرائيلية-اللبنانية. وفي أعقاب حرب عام 2006 تم تعزيزها بشكل كبير عندما صدر قرار مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة رقم 1701 والذي أعطى تفويضا لتوسيع تلك القوات لتصل إلى 15.000 جندي. وتتكون قوات اليونيفيل في الوقت الحالي من 13.000 رجل.

P<sup>(T7T)</sup> لا يعتبر حزب الله الطرف الوحيد المذنب في مثل ذلك التحريض. فهناك وسائل إعلام تحالفت مع هذا الجانب أو ذاك قامت بتعديل لهجتها استنادا إلى المناخ السياسي السائد عندئذ بحيث أصبحت أقل تحريضا وإثارة خلال المفاوضات بين الفريقين أو بعد المواجهات الخطيرة التي جرت بينهما.

P<sup>(T8T)</sup> كما يدعي حزب الله أيضا بأنه قام بالتوسط في حالات كثيرة من المواجهات التي جرت داخل الطائفة الواحدة. ففي أعقاب نزاع نشب بين قرية "اللبوة" الشيعية وقرية "الرسال" السننية في وادي البقاع، أدعى الحزب بأنه طلب من الجيش اللبناني أن يتدخل وإن يحاول حل النزاع بشكل سلمي. مقابلة مجموعة كرايسز جروب مع أحد مقاتلي حزب الله، وادي البقاع، 15 نيسان (أبريل) 2007. وبشكل مماثل، وبعد أن تم اغتيال أحد الشباب الشيعية المدعو "عدنان شماس" خلال مواجهة تمت في شهر كانون الثاني (يناير) 2007، يقال بأن "حسن نصر الله" قد طلب بشكل شخصي من عائلة المقتول بأن تمتنع عن الأخذ بالثأر. وبحسب قول أحد أعضاء المجلس السياسي لحزب الله، قام الفريق المكلف بالتحدث بشكل مكثف مع عائلة المجني عليه وقاموا بالصلاة معهم وبتقديم التعازي الرسمي لهم للحيلولة دون حدوث تصعيد خطير. مقابلة مجموعة كرايسز جروب مع "غالب أبو زينب"، بيروت، 16 آب (أغسطس) 2007. وبحسب أحد الشيوخ الشيعية حيث قال بأن "حسن نصر الله" كان قد

P<sup>(T3T)</sup> انظر تقرير كرايسز جروب عن الشرق الأوسط رقم 57 بعنوان "إسرائيل/فلسطين/لبنان: التسلسل للخروج من الهاوية"، 25 تموز (يوليو) 2006.

P<sup>(T4T)</sup> انظر تقرير كرايسز جروب بعنوان "كيفية إدارة العاصفة التجميعية"، كما سبق، صفحة 18.

P<sup>(T5T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع "محمود قوماطي"، بيروت، 11 تشرين الأول (أكتوبر) 2006.

وبفعل مخاوفها من ردود الفعل، قامت الحركة بإلغاء إضرابها العام<sup>P(T12T)</sup>، كما أن الاعتصام الذي جرى أمام مقر رئيس الوزراء قد تلاشى بشكل تدريجي، حيث قام حزب الله من الناحية الواقعية بالتخلي عن سياسات الشارع التي شكلها وقد ضاعت منه المبادرة السياسية<sup>P(T13T)</sup>.

ومع ذلك، وحتى ولو سعى حزب الله إلى نزع فتيل التوترات الطائفية فإن الحزب قد وقع في مصيدة عقائدية. ففي أثناء أعمال الشغب التي تمت في شهر كانون الثاني (يناير) في محيط الجامعة العربية في بيروت، شعر "حسن نصر الله" على غير عادته على أنه سيضطر إلى إصدار "فتوى" يتم بها دعوة الشيعة إلى العودة إلى منازلهم والفتوى عبارة عن أمر ديني عالي المقام يوجهه إلى إخوانه في الدين ولا تعتبر الفتوى توجيه سياسي يخاطب أعضاء الحزب. وبحسب أحد أعضاء المجلس السياسي التابع لحزب الله الذي قام بتوضيح ذلك مستخدماً العبارات التالية:

ان ما حدث كان اكبر من حزب الله. فقد نزل إلى الشوارع كافة الشيعة سواء كانوا أعضاء في حزب الله أم في حركة أمل أو لم يكونوا أعضاء في أي حزب سياسي إطلاقاً. وعندما تخاطب أعضاء في حزبك فسيكون كافياً أن يصدر عنك مجرد أمر لهؤلاء الأعضاء. أما إذا كان الأمر يعني جميع الشيعة فسوف لن يكون كافياً أن تصدر أمراً لهم. ولهذا السبب يجب علينا أن نوجه أنفسنا نحو كل الشيعة وليس فقط نحو الأعضاء في حزبنا. ولهذا السبب قمنا بإصدار "فتوى" لمخاطبة جميع الشيعة<sup>P(T14T)</sup>.

## ب. التأييد الشيعي لحزب الله

في أعقاب الحرب، كان معارضو حزب الله في الداخل والخارج، يأملون بخلق قيادة شيعية بديلة<sup>P(T15T)</sup>. وقد تبين فشل ذلك سريعاً. فعلى المستوى الاجتماعي، تعزز التأييد لحزب الله - نتيجة لجهود الحركة المتواصلة والطويلة، لتعزيز قبضتها على المجتمع الشيعي، وأيضاً كنتيجة للاستقطاب الشديد الذي بات موجوداً في فترة ما بعد الحرب. بالنسبة لتييمور جوكسل، الناطق السابق بلسان الـ"يونيفيل" (قوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان) فإن "حزب الله اليوم يمارس أساساً دور حامي المجتمع. إنه استجابة لمخاوف واسعة في صفوف الشيعة بأنهم مستهدفون أكثر من أي وقت مضى"<sup>P(T16T)</sup>.

### 1. حاجة الشيعة إلى الأمن

<sup>P(T12T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع "محمود قوماطي"، بيروت، 3 شباط (فبراير) 2007.  
<sup>P(T13T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع "علي فياض"، مدير المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، وهو مركز أبحاث تابع لحزب الله، بيروت، 23 آذار (مارس) 2007.  
<sup>P(T14T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع "محمود قوماطي"، 3 شباط (فبراير) 2007.  
<sup>P(T15T)</sup> مقابلات كرايسز جروب، بيروت، واشنطن، أيلول (سبتمبر) - كانون الأول 2006.  
<sup>P(T16T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، تييمور جوكسل، بيروت، 16 نيسان 2007.

ومع ذلك، فقد ثبت في نهاية الأمر بأن مثل تلك السياسات أيضا والتي تقاس بمعيار الشارع عبارة عن سياسات لا طائل منها. فهي لم تقم بالإطاحة بالحكومة ولم تحل دون حدوث تقادم طائفي. وكان الإضراب الذي جرى يوم 23 كانون الثاني (يناير) والذي اقترن بخطة استهدفت إحداث شلل في طرق السير الهامة قد عم وانتشر في كل مكان على شكل مواجهات مسلحة جرت في بيروت وطرابلس وفي أماكن أخرى. وبعد يومين من ذلك، نشبت أعمال شغب بين الشيعة والسنة في محيط الجامعة العربية في بيروت. كما اشتركت عصابات مسلحة في أعمال شغب ومواجهات عنيفة جرت حتى في الضواحي الجنوبية الشيعية للعاصمة بيروت والتي تعتبر معقل حزب الله<sup>P(T9T)</sup>.

إن عملية سياسات الشارع التي تم اللجوء إليها كانت قد شكلت مخاطرة حقيقية أدت إلى تحول سريع نحو حرب أهلية بكل إصرار<sup>P(T10T)</sup>. فالمعارضة تقع تحت هيمنة الشيعة بشكل كبير وقد اعتبر الأعضاء السنة في فريق 14 آذار (مارس) أن أعمال المعارضة (كالاعتصام في وسط بيروت والذي يشكل القلب بالنسبة لجهود إعادة الإعمار التي بذلها "رفيق الحريري" والذي يشكل إعاقة في الطريق المؤدي إلى مكتب رئيس الوزراء) تستهدف من الناحية الجوهرية الرموز السنوية. كما أن تعدي المعارضة واقتحامها للمجال السياسي السني أدى إلى إثارة المخاوف من "غزو" شيعي ديموغرافي سكاني وجغرافي مرة أخرى<sup>P(T11T)</sup>.

وباختصار، فإن جميع الأمور التي كانت قد بدأت على شكل تصعيد سياسي قد أدت إلى حدوث تصعيد طائفي بطريقة عنيدة. فحزب الله الذي كان قد خطط لحدوث المواجهة لم يعد هو سيد تلك المواجهة بل شكل ذلك انتحارا عقائدياً له. وكلما ازداد الصراع الطائفي كلما رددت قوى 14 آذار الاتهامات بأن حزب الله قد أصبح غطاءاً لمليشيا شيعية وبأنه قد ابتعد عن تمثيل المقاومة الوطنية.

طلب في منتصف العام 2007 من رجال الدين الشيعة بان يقترحوا طرقاً يتم بها التخفيف من التوترات الطائفية. مقابلة مجموعة كرايسز جروب مع "يوسف صوياتي" مدير الندوة الدينية في جنوب لبنان، كفرا، 27 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T9T)</sup> مقابلات كرايسز جروب مع مقيمين في الضواحي الجنوبية لمدينة بيروت، كانون الثاني (يناير) 2007.  
<sup>P(T10T)</sup> وقام أحد المراقبين السياسيين اللبنانيين، مشيراً إلى صعود الأزمة، بالتعليق على ذلك بقوله: "لقد كنا على مسافة ثلاث ساعات من الحرب الشاملة الكاملة". مقابلة مجموعة كرايسز جروب p في واشنطن، أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T11T)</sup> والظاهر بان هذا هو نص جزئي من بيان صدر بتاريخ 23 كانون الثاني (يناير) 2007 عن مفتي السنة اللبنانيين وهو "محمد رشيد القباني" الذي ينقد به "فوضوية" المعارضة التي تقوم بإيذاء "كرامة" مدينة بيروت. وحسب بيان المفتي القباني حيث يقول "بأننا سوف لن نسمح للأخريين بإيذاء جلال وعظمة بيروت"، الموقع على الإنترنت (www.darfata.gov.lb). كما قام "وليد جنبلاط"، زعيم الطائفة الدرزية وأحد قادة قوى 14 آذار أيضاً بإثارة موضوع جهود حزب الله لشرأء أراض بمساعدة إيرانية كي يتم ضمها تحت سيطرته الإقليمية ولتتيح وجود وحدة جغرافية إقليمية "لدولة حزب الله"، مدعياً بان "كل قرية شيعية أو منطقة شيعية قد أصبحت معقلاً عسكرياً لحزب الله"، صحيفة "الي أورينت ليجور"، 10 كانون الثاني (يناير) 2007. ويقال بان "جنبلاط" قد لعب دوراً تطويقياً حاسماً في أواخر شهر نيسان (أبريل) عندما تم اختطاف وقتل اثنين من مؤيديه، صحيفة "ديلي ستار"، 27 نيسان (أبريل) 2007.



رجال الدين التقليديين وأصحاب أراضي الإقطاع<sup>P(T22T)</sup>. كان الهدف هو "للحاق بسائر الطوائف اللبنانية الأخرى. على سبيل المثال، لم نشأ أن نترك للموارنة احتكار التعليم. لم نشأ أن نترك أيأ كان ينظر إلينا كجماعة تتشكل من شعب جاهل مرة أخرى<sup>P(T23T)</sup>. وفي السياق نفسه، أسس الصدر منظمة سياسية باسم (حركة المحرومين) في أوائل 1970.

وقد وضع الصدر أيضاً الأسس لتكوين ميليشيا – أصبحت تُعرف بـ"أمل" لتخدم كبديل للجماعات الفلسطينية العلمانية والقومية المسلحة التي تقاوم إسرائيل. وقد لاحظ الشيخ حسن جوني، وكان مسؤول أمل السابق للشؤون الثقافية في الجنوب بأنه في تلك المرحلة "نشأت الحركة الشيعية من مشاعر الإبعاد والتمهيش. لقد كانت حركة المحرومين، مفعمة بقوة بالأيديولوجية الإسلامية. الإمام الصدر أعطى للشيعية أول حركة لهم قائمة على أسس دينية. قبل ذلك كانت لنا جثاميننا وشهداؤنا – ولكن لم يكن أحد يعرف لماذا يقاتل<sup>P(T24T)</sup>". وقد أعطت الثورة الإيرانية عام 1979 للشيعية دفعة جديدة، والتي، وبعد عام من الوفاة الغامضة للإمام الصدر إبان زيارة له إلى ليبيا، أعطت أمل دفعة قوية إلى الإمام، وأدت إلى قيام جماعة مسلحة أخرى أكثر قوة وفعالية هي حزب الله<sup>P(T25T)</sup>.

والحقيقة هي أن تهمة الشيعية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لم يكن سوى مظهر واحد من أوضاعهم. وبالأخص، منذ أصبح جنوب لبنان منغمساً في الصراع العربي- الإسرائيلي، بل من أوائل ضحاياه، سيطر شعور على المجتمع الشيعي بأنه مهدد عسكرياً وعاجز إلى حد كبير، منحصر بين الضربات الإسرائيلية – الذي أخذ عددها بالازدياد منذ عام 1968<sup>P(T26T)</sup> – والممارسات المهينة التي كانت تمارسها الجماعات الفلسطينية المسلحة. وقد تضاعف ذلك في أعقاب أحداث الأردن الدموية 1970، وأيلول الأسود، والانقضاء على الجماعات الفلسطينية المسلحة، الأمر الذي دفع بتلك الجماعات إلى إعادة الاستيطان في جنوب لبنان، بمساعدة الأحزاب القومية العربية ذات الميول اليسارية.

إحدى العقبات الأساسية أمام الجهود لنزع سلاح حزب الله، تمثلت في أن السلاح نفسه، وليس فقط الحزب الذي يحميه، أو الأيديولوجية التي تبرره، يتمتع بتأييد قوي في صفوف شيعية لبنان. ففي تأييدهم لحزب الله، فإن الشيعية يؤيدون حركة تُعطي قيمة أعلى للمقاومة العسكرية منها للتمثيل السياسي<sup>P(T17T)</sup>. وإذا أخذنا في الاعتبار انطباعهم، بأنهم كانوا ضحية تمييز اقتصادي وسياسي<sup>P(T18T)</sup>، فإن ذلك يبدو غير منطقي بعض الشيء. البعض حاول تفسير شعبية منظمة عنيفة، تعمل على هامش النظام الرسمي، بالرجوع إلى ثقافة الشيعية السياسية المفترضة – التي تشكل في الدولة وتعشق الاستشهاد<sup>P(T19T)</sup>. أما الحقيقة فهي أن حزب الله ضرب وترأ حساساً مع الشيعية، لأنه ربط بين مبدأ المقاومة، وحاجتهم إلى التمكين، وإقناعهم بأن الأول هو أفضل وسيلة للوصول إلى الثاني.

تاريخياً، شيعية لبنان كانوا مهمشين اجتماعياً وسياسياً. فرجوعاً إلى العصر المملوكي بين القرن الثالث عشر والسادس عشر، حُشروا في أطراف حدود الأمة الجغرافية. (الجنوب وشمال سهل البقاع)، وقد أهملتهم السلطات المركزية المملوكية والعثمانية، وظلوا تحت حكم العائلات الإقطاعية. وفي عام 1943، تم التوصل إلى الميثاق الوطني الذي أقيمت بموجبه الدولة اللبنانية، على أسس من التوافق والمساومة بين الطائفتين المهممتين، المارونية والسنية<sup>P(T20T)</sup>. هذا الشعور المترام بالإقصاء، يفسر انجذاب الشيعية المبكر للأحزاب السياسية الراديكالية، الشيوعية والبعثية بشكل خاص<sup>P(T21T)</sup>.

كذلك كان كسب المؤيدين في عقد الستينات من القرن الماضي، يتوجه أكثر طائفية بزعامة موسى الصدر، رجل الدين الشيعي، الذي تحدى سلطة العائلات التقليدية، وشكل رمزاً للحضور الشيعي المتجدد. لعب الصدر دوراً حاسماً في إيقاظ الطائفة الشيعية سياسياً، ونظمها كقوة فعالة لها صوت ناجز يعمل على تحسين أوضاع هذه الجماعة. وقد أسس المجلس الشيعي الأعلى في عام 1967، بحيث أوجد لها أول هيكلية دينية مستقلة، ومطباً برنامجاً إصلاحياً سياسياً مسموعاً، على النقيض من سلوكيات

<sup>P(T22T)</sup> الإمام موسى الصدر غير تغييراً جوهرياً دور رجال الدين، مع توجه أيديولوجي إصلاحي. قبل الإمام، كان رجل الدين مجرد رجل يقوم بأداء الشعائر مثل الإمامة في الصلاة أو تنظيم الحج. مقابلة كرايسز جروب مع الشيخ حسن جوني، شخصية بارزة في أمل سابقاً ومسؤول عن الشؤون الثقافية في الجنوب. رومين، 14 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T23T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع أكرم طليس، مستشار سياسي سابق لحزب الله، ومسؤول أمل سابق في البقاع، بيروت 4 أيار (مايو) 2007. بعد حرب 2006، ضرب نصر الله على هذا الوتر مُحذراً: "لن نسمح لأحد بأن يعيدنا إلى الأيام التي كنا فيها نسمح أحديتهم"، مقابلة في محطة TV New، 27 آب (أغسطس) 2006.

<sup>P(T24T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع الشيخ حسن جوني، رومين، 14 نيسان (أبريل) 2007. ساعدت إيران الثورة بتنظيم وتفعيل أعمال رجال الدين الشيعية، عن طريق إعطائهم علاوات شهرية، وفي الوقت ذاته دفع رواتب للناشطين المسلحين. مقابلة كرايسز جروب مع حسن عباس نصر الله، مؤرخ. (لايمت بقربي لزعيم حزب الله) 4 نيسان 2007.

<sup>P(T26T)</sup> وفقاً للمصادر الرسمية اللبنانية، شنت إسرائيل ما بين 1949 و1964 حوالي 140 عملية عسكرية في لبنان؛ وقد ارتفع هذا الرقم إلى 3000 ما بين 1968 و1974، محمود سويد (Le Liban sud face á Israel، 50 ans de resistance et de résilience، بيروت 1998)، ص 5 و8.

<sup>P(T17T)</sup> انظر البحث أدناه.

<sup>P(T18T)</sup> هذا الوصف للشيعية بأنهم كانوا معرضين للتمييز بشكل منظم، يعتبره بعض المحللين بأنه مبالغ فيه. وهم يوضحون بأن الإنفاق العام في الجنوب الذي غالبية الساحقة شيعية، يفوق الإنفاق في الشمال (وبالأخص منطقة عكار، ذات الأغلبية السنية الساحقة). مراسلات كرايسز جروب عبر البريد الإلكتروني، محلل لبناني، تشرين أول (أكتوبر) 2007.

<sup>P(T19T)</sup> يبدو أن قوى 14 آذار تستغل مثل هذه الوصفات النمطية، عندما شنت حملة عنوانها "أنا أحب الحياة"، وبالتالي إظهار الفرق بين ثقافتهم وبين ثقافة خصومهم التي تدعو إلى الموت والاستشهاد.

<sup>P(T20T)</sup> انظر جوزف الأغا، التحولات في أيديولوجية حزب الله، وأيديولوجيته السياسية وبرنامجها السياسي (The Shifts in Hizbullah's Ideology, Political Ideology and Political Program)، ص 20 (الكتاب بالإنجليزية)، (أمستردام 2006). أوغستس ريتشارد نورتن، حزب الله (Hizbollah)، (بيرنستون، 2007)، ص 11-14. مع أن الموقعين كانا مسيحياً وسنياً، فقد أعطى للشيعية منصب رئيس مجلس النواب وكذلك 19 نائباً (بالمقارنة مع 20 نائب للسنة، 6 للدروز و 54 للمسيحيين من مختلف الطوائف).

<sup>P(T21T)</sup> وبالأخص، في حالة التنظيمات الشيوعية، والحزب القومي السوري الاجتماعي، كان هناك جاذب متاصل لإدانة التمييز على أسس قبلية، ودينية وإثنية، نورتن، حزب الله، ورد سابقاً، ص 15.

ونيبيل<sup>P(T32T)</sup>، وسلوكياته على النقيض من سلوكيات الفلسطينيين (التظاهرية) و(المتعجرفة)<sup>P(T33T)</sup>، والتي نهبت الجنوب".

أبو علي ليس وحيداً في هذا القول. فعلى امتداد الجموع الشيعية، يجد المرء أناساً شيعية لا ينتمون إلى حزب الله تنظيمياً بأي شكل من الأشكال، بل حتى أنهم يكرهون توجهاته الدينية، ومع ذلك فإنهم يشعرون بأنهم جزء منه. الناس في الجنوب يشيرون إلى مجتمع حزب الله بـ"أمة حزب الله"، و"المجتمع المقاوم"<sup>P(T34T)</sup>، أو "شعب المقاومة"<sup>P(T35T)</sup>، لوصف الجماهير الواسعة من المتعاطفين، وإن لم يكونوا منضمين للحركة. وكما يرون الأمور، فإن محاولة إضعاف حزب الله، في الظروف الراهنة، هو محاولة لإضعاف الشيعة. وقال شيخ لا ينتمي إلى الحركة "حزب الله هو أكثر من حزب. إنه بيئة عامة نعيش في ظلها"<sup>P(T36T)</sup>.

قبل ذلك، كان الشيعة يشعرون بالتهميش الاجتماعي. الآن يشعرون بأنهم مستهدفون سياسياً<sup>P(T37T)</sup>. ومن هذا المنطلق، أن تكون شيعياً اليوم في لبنان ليس أن تكون محروماً اجتماعياً بقدر ما تكون مستهدفاً سياسياً وعسكرياً. ونتيجة لذلك، ومع أن الجماعة الشيعية تُصرُّ على الاحتفاظ بمراكزها في القطاع العام – فقد أصبح الأكثر أهمية للشيعة أن يشعروا بالاطمئنان من موضوع تمثيلهم. وهذا إلى حد كبير، يفسر تأييدهم لسلاح حزب الله.

إقامة ما كان يُعرف يومئذٍ بـ"أرض فتح" – دولة فلسطينية داخل دولة- شكلت مشاكل لا تُعدُّ ولا تحصى لسكان الجنوب اللبناني. المسلحون الفلسطينيون (والمسلحون من الأحزاب القومية اليسارية أيضاً)، تصرفوا كسادة ولوردات، يرفضون تسديد فواتير المطاعم، وينهبون المخازن ويصادرون السيارات<sup>P(T27T)</sup>. وقد خلق ذلك استياءً شيعياً متصاعداً، وشجع على التعاون مع إسرائيل. وقال أحد قادة "المرابطون" السابقين، وكانت حركة ناصرية مسلحة "إن كل قرية في الجنوب شهدت تحول عدد من سكانها والانضمام إلى العدو"<sup>P(T28T)</sup>. وآخرون حاورتهم كرايسز جروب استذكروا أهل القرى الشيعية وهم يرحبون بالجنود الغازين الإسرائيليين في عام 1982، ويرمونهم بالأرز<sup>P(T29T)</sup>. بيد أن الأوضاع انقلبت بسرعة، بدوام الاحتلال الإسرائيلي واستمرار العمليات العسكرية في الجنوب، والتي أثارت غضب أهل الجنوب، الذي استغله حزب الله أحسن استغلال.

لا يمكن فهم شعبية حزب الله وقوة صموده، دون الأخذ بالاعتبار هذه التجربة الجماعية الشيعية المفعمة بالإقصاء، على يد الجماعات الأقوى، يضاف إلى ذلك فشل الدولة التام والمكرر بحمايتهم. وهكذا، وحتى مع انحسار مهم في شعور الشيعة بالتهميش السياسي والاقتصادي، على امتداد العقود الثلاثة الأخيرة<sup>P(T30T)</sup>، فإن الشعور بأنهم في خطر ومسهفين، (سواءً من قبل إسرائيل، أو الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة وغيرها من الجماعات الطائفية داخل لبنان) لم ينحسر. عارضوا بشدة غزوات وتوغلات إسرائيل، كما شعروا بالاستياء والسخط من سلوك الفلسطينيين، ولذا فقد وجدوا متنفساً لهم وجواباً فعالاً في حركة أمل، وحتى أكثر من ذلك في حزب الله. وصرح رجل دين شيعي من الجنوب بقوله: "بفضل حزب الله، أصبحنا أخيراً في سلام. لقد تخلصنا من الفرقاء الآخرين، الفلسطينيين والإسرائيليين"<sup>P(T31T)</sup>. ومع ذلك فقد صرح أبو علي، وهو شيعي علماني وعضو سابق في حركة المقاومة الوطنية، ومناهض لنظرة حزب الله إلى العالم، قائلاً: "الفرق بين مقاومة الأحزاب القومية والفلسطينية من ناحية، وحزب الله من ناحية أخرى، هو فرق بين السماء والأرض، حزب الله ظاهر

<sup>P(T27T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، قرويين، وصيادي أسماك وموظفين ورجال دين في منطقة صيدا، نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T28T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع أبو علي، بيروت، 28 نيسان (أبريل) 2006. ادعى أبو علي، دون تقديم أدلة، بأن بعض التجاوزات قد ارتكبتها متشددون فلسطينيون، يعملون لجهاز المخابرات الإسرائيلي، من أجل خلق توترات مع السكان المحليين.

<sup>P(T29T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع جمع من القرويين. رومين، 19 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T30T)P</sup> هذا صحيح بشكل خاص في جنوب لبنان، حيث تحسنت الأحوال، وبالأخص بعد انسحاب إسرائيل عام 2000، وما تبع ذلك من تدفق استثمارات من الشيعة المغتربين في الخارج. فكرة المجتمع المحروم، لم يعد يجد صدقاً واسعاً في المنطقة. وبدلاً من ذلك، فإن الشيعة يشيرون إلى أنهم أصبحوا مستهدفين. البقاع موضوع آخر، على الرغم من أن الفقر هناك، على ما يبدو، لا يتصل بالانتماءات الدينية. التهميش الاقتصادي يطال الجميع. وتبعاً لذلك، فقد أشار ناشط في حزب الله من البقاع "إلى وجود شعب فقير وغازب"، لوصف سكان البقاع، وهم ليسوا شيعية حصراً. حديث كرايسز جروب، البقاع 3 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T31T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب شيخ شيعي، منطقة صيدا، 21 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T32T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع أبو علي قائد عسكري سابق لـ"المرابطون"، جماعة مسلحة، بيروت 28 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T33T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع قرويين، الغازية، 20 نيسان (أبريل) 2007؛ رئيس نقابة الصيادين، صرْفند، جنوب لبنان، 17 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T34T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع نيبيل فاووق، مسؤول حزب الله المسؤول عن الجنوب، صور، 17 تشرين أول (أكتوبر) 2006.

<sup>P(T35T)P</sup> خطاب حسن نصر الله، المنار، 14 آب (أغسطس) 2007.

<sup>P(T36T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع يوسف سبيتي، كفره، 27 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T37T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع أكرم طليس، بيروت، 3 أيار (مايو) 2007.

## 2. الحرب

الحرب "P(T45T)". لقد كان الشعور بالتخلي عنهم من قبل السنة وتجربة تعميق الصراع الطائفي عاملاً مساهماً هاماً دفع العديد من الشيعة إلى الانشقاق حول أقوى مدافعيها. ولعبت وسائل إعلام حزب الله دوراً حاسماً في هذا الصدد، مؤكدة على التهديد الذي يواجهه الحزب نتيجة للتحالف بين القوى الموالية للحكومة وخصومه الخارجيين (إسرائيل والولايات المتحدة).

يقارن الشيعة أيضاً بين جهود الدولة غير المهيأة والبطيئة الرامية إلى إعادة بناء المجتمعات التي دمرتها الحرب مع النجاح النسبي لحزب الله P(T46T). وبدلاً من إلقاء اللوم على عجز الحكومة، يشتهب العديد بالتمييز المتعمد ضد الشيعة ومحاولة تأجيج غضبهم من الحركة التي يفترض أنها مسؤولة عن محتهم P(T47T).

أدت الحرب أيضاً إلى تغيير علاقة الحركة مع المثقفين الشيعة. ووفقاً للمؤرخ حسن عباس نصر الله، "قبل الحرب، كان المثقفون الشيعة منقسمين جداً، ودعم قلة منهم حزب الله. لقد غيرت الحرب كل ذلك" P(T48T). علق شيخ كان مسؤولاً سابقاً عن مؤسسة الشهداء في سهل البقاع P(T49T)، "اليوم، أصبح جميع الشيعة حزب الله" P(T50T). وبالمثل، أفاد الشيخ المستقل محمد علي الحاج، الذي تربطه روابط مع سيد محمد حسين فضل الله P(T51T)، "ينظر الشيعة هذه الأيام إلى قوة حزب الله على

يبدو أن دعم الحركة في الجنوب وكذلك في البقاع، المنطقتين الرئيسيتين للشيعة في لبنان خارج الضاحية (الضواحي الجنوبية لبيروت ومقل الشيعة التي تصفها وسائل إعلام حزب الله بأنها "عاصمة المقاومة")، قد تلتصقت منذ حرب تموز (يوليو) 2006. في حين أن البيانات المأخوذة من استفتاءات الرأي نادرة وكثيراً ما تكون غير موثوق بها، إلا أن روايات كل من الأعضاء وغير الأعضاء متفقة: أعرب أحد الأئمة من قرية جنوبية عن دهشته من لهفة نقاد حزب الله السابقين على مساعدة الحركة P(T38T)؛ ويقال أن أعداداً متزايدة من الشبان الشيعة يتطوعون للانضمام P(T39T)، وغالباً ما يصرون على وضعهم في الخطوط الأمامية P(T40T)؛ ويدعي المناضلون اليساريون الشيعة السابقون أن "باستطاعة حزب الله فقط حمايتنا" P(T41T)؛ ويقر زعماء القبائل في البقاع الذين كانوا يعارضون حزب الله تقليدياً باستعدادهم "أن يغفروا كل شيء لأن الحركة استعادت شرف 200 مليون عربي" P(T42T).

بالنسبة لكثيرين من بينهم، لم تكن الحرب موجهة ضد لبنان بقدر ما كانت ضد الشيعة. ويذهب بعض رجال الدين إلى حد الادعاء بأن الهدف كان "تطهير" الجنوب من الشيعة وإرسالهم إلى سوريا أو أبعد من ذلك P(T43T). لعب حزب الله وفقاً لهذا التصور، مؤكداً أن "القضاء على سلاح المقاومة هو القضاء على الشيعة، والقضاء على الشيعة هو القضاء على لبنان" P(T44T). وأفاد مستشار سابق لحزب الله "بأن قرار شن الحرب [ضد الشيعة في لبنان] قد أخذ بالفعل. والسؤال الآن هو متى ستبدأ

P(T45T)P مقابلة كرايسز جروب، أكرم طليس، بيروت، 3 أيار (مايو) 2007.

P(T46T)P أقر ابراهيم شحور، مدير قسم التخطيط والبرمجة لمجلس التنمية وإعادة البناء (مؤسسة تدار من قبل الحكومة مسؤولة عن إعادة الإعمار)، أن الحكومة لم تكن مستعدة لهذه المهمة. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 13 تشرين أول (أكتوبر) 2007. وفي المقابل، شارك حزب الله بسرعة في عملية إعادة الإعمار. ووفقاً لمسؤول في جهاد البناء (وهي مؤسسة يديرها حزب الله مسؤولة عن إعادة الإعمار)، كان مهندسو المؤسسة يعملون خلال الحرب على تقييم الدمار. مقابلة كرايسز جروب، بلال نعيم، بيروت، 13 تشرين أول (أكتوبر) 2006. ووفقاً لعدة تقارير، وفر حزب الله دعماً مالياً للأشخاص المشردين بسرعة لمساعدتهم من دفع تكاليف الإقامة لعام كامل. الإندبنذنت (The Independent)، 24 آب (أغسطس) 2006. لقد أقر عدد من المفكرين الشيعة المناهضين لحزب الله باستلامهم مساعدة مالية (12000 دولار لسكان ضواحي بيروت، 10000 دولار لسكان الجنوب). مقابلة كرايسز جروب، صحفيون شيعة، أيلول (سبتمبر) 2006 وأيلول (سبتمبر) 2007. وتحت ضغط المجموعات الشيعية السياسية، ساعدت الحكومة المركزية حزب الله وحلفاءه من خلال "مجلس الجنوب"، وهو منظمة تسيطر عليها أمل، مسؤولة عن تقييم التعويض للمنازل المدمرة والتي يزعم أنها منحازة إلى مؤيدي أمل وحزب الله. بمعنى آخر، كانت ممارسات حزب الله وأمل مموله جزئياً بواسطة أموال الحكومة. مقابلة كرايسز جروب، رياض الأسعد، رجل أعمال مستقل وسياسي شيعي يرأس واحدة من أكبر شركات البناء في الجنوب، بيروت، 15 أيار (مايو) 2007. وفي بعض الأحيان، اختارت الدول المانحة مكان صرف الأموال، محددة بذلك دور وقدرة الدولة من تنفيذ جهود مترابطة منطقياً. مقابلة كرايسز جروب، ابراهيم شحور، بيروت، 13 تشرين أول (أكتوبر) 2006.

P(T47T)P مقابلة كرايسز جروب، مقاولون شيعة وزعماء جهاد البناء، بيروت، تشرين أول (أكتوبر) - أيار (مايو) 2007: علي الأمين، صحفي، بيروت، 27 شباط (فبراير) 2007.

P(T48T)P مقابلة كرايسز جروب، حسن عباس نصر الله، بعلبك، 4 نيسان (أبريل) 2007.

P(T49T)P تقدم المؤسسة دعماً مالياً لأسر الشهداء وتنظم أحداثاً تذكارية. مقابلة كرايسز جروب، شوقي كنعان، مسؤول سابق لمؤسسة الشهداء في البقاع، al-Alaq، 10 نيسان (أبريل) 2007.

P(T51T)P حظى فضل الله، وهو مؤسس حزب الدعوة العراقي في الستينات، بسمعة أنه المرشد الروحي لحزب الله لغاية 1992-1993. ومنذ ذلك التاريخ،

P(T38T)P مقابلة كرايسز جروب، سعد الله خليل، العلال، جنوب لبنان، 27 نيسان (أبريل) 2007، يقدم الدعم المالي عادة إلى مؤسسة تدار من قبل حزب الله، "صندوق دعم المقاومة".

P(T39T)P مقابلة كرايسز جروب، محمد الجمال، رئيس بلدية سابق لبعلبك، بعلبك، 13 نيسان (أبريل) 2007.

P(T40T)P مقابلة كرايسز جروب، نواف الموسوي، مسؤول من حزب الله يتولى العلاقات الخارجية، بيروت، 18 آب (أغسطس) 2006.

P(T41T)P مقابلة كرايسز جروب، خليل عرزوني، مفكر يميل لليبار، شحور، جنوب لبنان، 23 نيسان (أبريل) 2007.

P(T42T)P مقابلة كرايسز جروب، أحد وجهاء القرية، سهل البقاع، 14 نيسان (أبريل) 2007. رشح نفسه في الانتخابات البلدية الأخيرة ضد حزب الله ولم يكتب له النجاح، ولا يزال ينتقد بشدة إدارة الحركة لشؤون المدينة. ولكن، منذ الحرب، قدم دعماً لحزب الله.

P(T43T)P مقابلة كرايسز جروب، الشيخ سعد الله خليل، العلال، جنوب لبنان، 27 نيسان (أبريل) 2007.

P(T44T)P مقابلة كرايسز جروب، الشيخ أيوب حيدر، زعيم سياسي لحزب الله وممثل قانوني (وكيل شرعي) للقائد الأعلى لإيران خامنئي ولاية الله السيستاني في العراق، بدنايل، 13 نيسان (أبريل) 2007، أفاد خليل خليل، وهو سفير سابق في إيران وعضو في البرلمان وينتمي إلى عائلة شيعية تقليدية إقطاعية في الجنوب، إن حزب الله يفاقم فكرة التهديد عبر زيادة الخوف من مؤامرة ضد الشيعة. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 14 أيار (مايو) 2007. أجاب وليد شرارة، وهو محلل سياسي مرتبط بحزب الله: "إن هذا ليس خيال لدى الشيعة؛ إنه خوف حقيقي ينبع من تحليل منطقي لسياسة الولايات المتحدة". مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 29 أيار (مايو) 2007. رد حسن نصر الله بشدة على أولئك الذين انتقدوا أسلحة حزب الله: إن الذين يحتاجون إلى إعادة الطمأنة هم المقاومة، لأنهم مستهدفون ومهددون بالموت والتهجير والتمهير، المنار، 14 آب (أغسطس) 2007.

الأسر التي كان لها نفوذ في السابق، مثل خليل خليل وأحمد الأسعد؛ فضلا عن بعض القادمين الجدد من السياسيين، مثل عصام أبو درويش، رجل الأعمال الناجح الذي أنشأ شبكة مساعدة إنسانية في الجنوب). ولكنها حتى الآن لا تمثل قوة متماسكة؛ إنها بالأحرى شخصيات فردية منقسمة مع دعم ضئيل بين الشيعة العاديين.

### 3. حشد القوى الشيعية الأخرى

أدى أيضا الشعور بالاستقطاب الطائفي والعزلة الطائفية (ولو بشكل مؤقت على الأقل) إلى تهدئة الخلافات بين الجماعات الشيعية التي تنظر الآن إلى حزب الله على أنه الوحيد القادر على الدفاع عنها. ويعتبر الاتجاه الذي يتزعمه سيد محمد حسين فضل الله أكثر الأمثلة ملائمة. وبعد سنوات من التوتر، تحسنت علاقات فضل الله مع كل من حزب الله وإيران. قال خير في شؤون حزب الله، "في السابق، كان فضل الله يبداً جميع اجتماعاتنا بهاجمة حزب الله، مدعياً أنه "مرجع" العرب مقابل الفرس. لقد انتهى هذا الآن. لم تكن نقطة التحول بسبب قرار مجلس الأمن 1559، الذي يعتقد أنه لن يتم تنفيذه أبداً، ولكن بسبب اغتيال رفيق الحريري"، الأمر الذي عجل في القطيعة الطائفية<sup>P(T57T)</sup>. وبالنسبة للشيخ خنجر، رئيس محطة الإذاعة التابعة لفضل الله، البشائر، رغم بقاء الخلافات الأيديولوجية واللاهوتية بوضوح:

اليوم، هناك أولويات أخرى، ولقد جمعنا هذه الأولويات. أشير هنا إلى تصاعد التوترات الطائفية، وتميرر قرار مجلس الأمن رقم 1559 وحرب تموز (يوليو) 2006. ونتساءل: لماذا هذا الاهتمام الأمريكي المفاجيء لبلدنا الصغير؟ الجواب واضح: نحن نعتقد أن الولايات المتحدة تريد أن تضع حداً ليس لحزب الله فحسب، بل للمقاومة أيضاً. قد نختلف مع حزب الله لأسباب أيديولوجية، ولكن ليس على مبدأ المقاومة. في السياق الحالي، يعتقد محمد حسين فضل الله أن الأولوية هي الحفاظ على المقاومة. وبالطبع، إذا انحسرت التهديدات والمخاوف، ستعود الاختلافات بين التيارين الشيعيين إلى الصدارة<sup>P(T58T)</sup>.

وفي المقابل، ومنذ نهاية الحرب، كرس حزب الله مزيداً من التغطية لخطبة الجمعة لفضل الله على محطة المنار التلفزيونية.

وهناك ديناميكية مماثلة، يغذيها الخوف من عدو مشترك، تضطلع بها العلاقات بين حزب الله والحزب الشيعي الرئيسي الآخر، أمل. لقد تلى الحرب المفتوحة بين عامي 1988 و 1990 سلام التسعينات البارد. وتحت الضغط السوري والإيراني، تم توصل المنظمات المتنافسة إلى طريقة هشة للتعايش تميزت بانتخابات

أنها قوة خاصة بهم، تماماً كما يرون ضعف حزب الله على أنه ضعفهم. حتى أولئك الذين يدعون أنهم مستقلون سيصوتون لحزب الله بسبب وجود رد الفعل الطائفي<sup>P(T52T)</sup>.

إن التضامن أمر ظرفي في كثير من الأحيان ويعيد كل البعد عن التمسك الأعمى. ويتواجد جنباً إلى جنب مع انتقاد على نطاق واسع، ويمكن القول أنه أكثر حدة منذ مشاركة حزب الله في المساعدة في إعادة الإعمار. تتهم الحركة بشكل روتيني وأحيانا بشدة بالمحاباة وعدم الكفاءة أو عدم القدرة على رعاية المدنيين المتضررين من النزاع<sup>P(T53T)</sup>. حيث تعكس ممارسات حزب الله، لا سيما في مناطق البقاع الأكثر فقراً، نوعاً من الممارسات الحزبية النفعية التي تدبنها الحركة عادة عندما يمارسها الآخرون<sup>P(T54T)</sup>. يدرك الكثيرون أنه رغم أن الدافع السياسي لا يزال يلعب دوراً رئيسياً، إلا أن بعض المناضلين ينضمون من أجل أسباب تافهة مثل الراتب والتدريب التقني وغيره<sup>P(T55T)</sup>. قال رجل دين شيعي مستقل، "الناس مرعوبون الآن ولذلك فهم يبدون آراءهم. من يدري ماذا سيحدث غداً"<sup>P(T56T)</sup>.

ولكن ليس هناك سبب يدعو إلى الاعتقاد بظهور سياسة شيعية بديلة في أي وقت قريب. لقد أعطي النقاد منبراً من قبل حركة 14 آذار (بما فيها تيار الشيعة الأحرار برئاسة محمد حاج حسن؛ محمد علي الحسيني؛ هاني فحص؛ والأمين العام السابق لحزب الله، صبحي الطفيلي). انتقد آخرون من ذوي بعض النفوذ والتأثير حزب الله بشدة (علي الأمين، مفتي صور؛ وأعضاء

ساعات العلاقات، وواجه فضل الله تحديات لاهوتية وسياسية. وعارض مصادقة حزب الله لفكرة ولاية الفقيه وانتقد الاستغاثة بالدين كوسيلة لتوجيه كيفية تصويت الشيعة. انظر جوزيف الأغا، ص. 62. كما كان انتقادي لعلاقة حزب الله الوطيدة مع إيران، وبالأخص، العلاقة مع القائد الأعلى علي خامنئي الذي تعتبره الحركة مرجعها التقليدي. دفع ثمناً غالباً لانتقاداته: لقد تم الهجوم عليه بعنف والضغط عليه من قبل حزب الله وإيران. مقابلة كرايسز جروب، الشيخ خنجر حمية، مدير محطة إذاعة البشائر، كفر عطا، 26 نيسان (أبريل) 2007. لمزيد من المعلومات عن علاقات فضل الله مع حزب الله، انظر موجز الشرق الأوسط لـ كرايسز جروب رقم 7، حزب الله: تائر بون قضية؟ 30 تموز (يوليو) 2003، ص. 12-14.

مقابلة كرايسز جروب، الشيخ محمد علي حاج، بيروت، 2 آب (أغسطس) 2007.

مقابلات كرايسز جروب، جنوب لبنان، نيسان (أبريل)-أيار (مايو) 2007. اتهم حزب الله بمحاباة شركات إعادة الإعمار على أساس معايير سياسية/نفعية، وممارسة احتكارات مع أمل. ويدعي رياض الأسعد، وهو شخصية معروفة هامة في الجنوب، أن حزب الله قد رفض وابتزاز منح شركته فرصة العمل نتيجة فيتنو زعيم أمل، نبيه بري. مقابلة كرايسز جروب، رياض الأسعد، بيروت، 15 أيار (مايو) 2007. ويقول ذلك، أنتى العديد من المسيحيين على سياسات التعويض المنصفة لحزب الله. مقابلات كرايسز جروب، سهل البقاع، أيار (مايو) 2007. انظر أيضاً لبيير اسبيون Liberation، 19 أيلول (سبتمبر) 2006.

هذا صحيح خاصة في البقاع الفقير، حيث يقدم حزب الله مع أحزاب أخرى ولكن بمقياس غير متساو - رواتب لأعضائهم، مقابلة كرايسز جروب، حسن عباس نصر الله، بعلبك، 4 نيسان (أبريل) 2007.

قال عدة أعضاء لـ كرايسز جروب أنهم قد انضموا من أجل الحصول على طعام لعائلاتهم. في حين أفاد آخرون أنهم قد انضموا من أجل إنهاء تدريبهم العسكري والحصول على مهارات يمكن استخدامها لاحقاً كمدينين (في أعمال البناء أو النجارة). مقابلات كرايسز جروب، مقاتلو احتياط من حزب الله، جنوب لبنان، أيار (مايو) 2007.

مقابلة كرايسز جروب، شيخ شيعي مستقل، جنوب لبنان، 27 نيسان (أبريل) 2007.

مقابلة كرايسز جروب، علي الأمين، صحفي وخبير في شؤون حزب الله، بيروت، 12 حزيران (يونيو) 2007.

مقابلة كرايسز جروب، الشيخ خنجر حمية، رئيس محطة إذاعة البشائر، كفر عطا، 26 نيسان (أبريل) 2007.

وبطبيعة الحال، لا تزال الولاءات الأسرية والقبلية قائمة، لا سيما على الصعيد المحلي<sup>P(T66T)</sup>. وهذا صحيح وينطبق حتى على أعضاء حزب الله: "مهما كانوا، يبقى مقاتلو وسياسيو حزب الله أبناء بعض الأسر"<sup>P(T67T)</sup>. ونتيجة لذلك، استخدم حزب الله وسائل مختلفة لتخفيف هذا الجذب التنافسي. حيثما أمكن ذلك، وجد حزب الله قضايا مشتركة مع أمل، مقلداً بذلك بعد المسافة السياسية بينهما مما يترك مجالاً ضئيلاً لطريق ثالث محتمل- حزب سياسي، أسرة أو قبيلة<sup>P(T68T)</sup>. كما قام حزب الله بتجنيد مكثف في أوساط الشباب الشيعية، وخصوصاً من أعضاء الأسر الكبيرة، والقائهم في أوساط السياسة المحلية، وذلك بهدف التقليل التدريجي من نفوذ الشبكات الأسرية أو القبلية أو الإقليمية (العصبيات). وأخيراً، رعى حزب الله بعناية احتياجات الأنصار السياسيين المحليين، بتوفير المساندة وإعطائهم مقاعد بارزة سواء في الاحتفالات الرسمية أو على القوائم الانتخابية<sup>P(T69T)</sup>.

تبدو هذه الاستراتيجية ناجحة على السطح. لقد عززت الدور المحلي للحركة من خلال تعيين أو تهيئة الأسر والقبائل ذات النفوذ فضلاً عن أعضاء من رجال الدين المستقلين. كما أدت إلى تحسين العلاقات مع حركتي أمل وفضل الله. وكذلك، وعلى مدى السنتين الماضيتين، وطدت التطورات السياسية المتلاحقة- تعميق الانقسام الطائفي والقرار 1559 وانسحاب سوريا والحرب وإعادة تعمير الدولة غير الفعال - مركز حزب الله باعتباره المدافع الوحيد عن الطائفة الشيعية. ولكن، كانت هذه المكاسب مقابل تكلفة حقيقية.

### ج. العلاقات مع غيرها من الجماعات الطائفية

منذ المؤتمر العام الثاني في أيار (مايو) 1991، تمسك حزب الله بسياسة الانفتاح على المجتمعات والمجموعات السياسية الأخرى<sup>P(T70T)</sup>. وهذا يعكس اهتمام الحركة الشاغل للحفاظ على الإجماع بشأن هدفها الأساسي - حماية وضعها المسلح لدعم المقاومة - عن طريق تقادي التشابك في المشاحنات الداخلية والانقسامات الطائفية المريرة. وحسب رأي قادة حزب الله، يمكن أن يتم وضع أسلحته بعيداً فقط عن طريق إظهار نفسه كحركة تتجاوز الهوية الطائفية وتجسد وتجمع المقاومة

<sup>P(T66T)</sup> في قرية غازيا شرق صيدا، أدى التنافس بين عائلتي خليفة و غدار إلى انسحاب حزب الله وأمل (الذين اتفقوا في عام 2004 على إبراز قوائم موحدة) من الانتخابات البلدية لمنع تحول الخلافات والتوترات العائلية إلى توترات حزبية. مقابلات كرايسز جروب، يحيى غدار، رئيس المجلس البلدي، غازيا، نشطاء سياسيون، غازيا، 20 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T67T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، ناصر عوندي، عضو برلمان سابق مؤيد لسوريا، بيروت، 14 أيار (مايو) 2007.  
<sup>P(T68T)</sup> كلما ازدادت الانقسامات بين أمل وحزب الله، كلما كان هناك دور لعدد أكبر من العائلات. وكان هذه صحباً مثل النبطية وصور. مقابلة كرايسز جروب، ناصر عوندي، بيروت، 14 أيار (مايو) 2007؛ مقابلة كرايسز جروب، خليل عزروني، مثقف ذو ميول يسارية، شحور، 23 نيسان (أبريل)، 2007.

<sup>P(T69T)</sup> ولكن، وكما أفاد أحد المراقبين، لا "تتضمن الحركة أكثر العناصر قوة على القوائم الانتخابية بدافع الخوف من فقدان السيطرة"، مقابلة كرايسز جروب، أنطوان علوف، عضو مسيحي في المجلس البلدي لبعبك تم انتخابه من قائمة حزب الله، بعبك، 20 نيسان (أبريل) 2007.  
<sup>P(T70T)</sup> انظر الأغا، التحولات، ص. 41-42.

مريرة، لا سيما خلال الانتخابات البلدية لعام 2004<sup>P(T59T)</sup>. يبدو اليوم أنهم "أكثر تنسيقاً من أي وقت مضى"<sup>P(T60T)</sup>، كما يتضح من اللقاءات المتكررة بين زعمائهم، وعرض قائمة مشتركة للانتخابات البرلمانية لعام 2005، والدور الذي قام به نبيه بري من حزب أمل خلال المواجهة مع إسرائيل عام 2006 (عندما، وخلافاً للماضي، كان بمثابة قناة اتصال بين حزب الله والحكومة)؛ ومواقفهم المشتركة خلال عمليات شد وجذب مع قوى 14 آذار، ومؤخراً، عرض قائمة مشتركة للانتخابات نقابية للمهندسين في نيسان (أبريل) 2007<sup>P(T61T)</sup>.

كانت علاقات حزب الله مع الطبقة والمعاهد الدينية الشيعية التقليدية (حوزات) غامضة عادة، على الرغم من انحسار التوترات. ويتذكر شيخ شيعي من الجنوب موالى لحزب الله، أنه في بدايات حزب الله، كان رجال الدين يشاهدون بقلق مناضليه وهم يأتون إلى القرى الشيعية، خائفين من نظرهم الثورية حتى أنهم أحياناً يمنعون شبابهم من الانضمام إلى حزب الله<sup>P(T62T)</sup>. وقال زعيم مدرسة دينية في الجنوب، "يخاف رجال الدين دائماً من أن ينحرف الإسلام بواسطة منظمة سياسية ذات أهداف ليست دينية بحتة. يمثل حزب الله تياراً محدداً، إلا أنه يطمح لتمثيل الجالية المسلمة بأكملها"<sup>P(T63T)</sup>. لقد أدى قرار حزب الله في أوائل التسعينات بدخول المعركة السياسية إلى مزيد من تأجيج المخاوف حول خط الدين والسياسة. واستناداً إلى أحد الشيوخ، "إذا كان الدين في خدمة السياسة، فإنه سيتم إفساده عاجلاً أم آجلاً بواسطة السياسة"<sup>P(T64T)</sup>. ويقول يوسف سبيتي، الذي فقد شقيقاً له في معركة مع إسرائيل، "لا نعرف، نحن الشيوخ المستقلون، حزب الله على الرغم من اختلافاتنا معه، ويسألنا أن لا نعارضه. إن عدونا المشترك هو إسرائيل، التي تسعى إلى القضاء على جميع المسلمين"<sup>P(T65T)</sup>.

<sup>P(T59T)</sup> استهدفت الحرب التي استمرت لعامين المجتمع الشيعي. بدأت في عام 1988 في منطقة حروف، قرب النبطية، وامتدت تدريجياً إلى بيروت وبعبك. انتهت الحرب في عام 1990 نتيجة ضغط شديد من سوريا وإيران.

<sup>P(T60T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، الشيخ حسن جونية، مسؤول سابق عن الشؤون الثقافية في الجنوب في أمل، رومين، 14 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T61T)</sup> وفقاً لصبحي طفيلي، الأمين العام السابق لحزب الله، بدأ التقارب بعد انتخابات 2005 عندما تقدمت قوى 14 آذار لنصر الله بعرض لاستبدال رئيس أمل نبيه بري كمتحدث في البرلمان، ولكن رفضه زعيم حزب الله. "إن لدى قوى 14 آذار القدرة على توحيد الآخرين ضدها"، مقابلة كرايسز جروب، صبحي طفيلي، بعبك، 5 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T62T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، سعدالله خليل، العاللي، جنوب لبنان، 27 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T63T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، يوسف سبيتي، مدير مدرسة دينية في جنوب لبنان، كفر، 27 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T64T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، الشيخ هاني فحص، عضو المجلس التشريعي للمجلس الإسلامي الأعلى، بيروت، 24 تموز (يوليو) 2007. كمثل، يسمع أحياناً أن حزب الله يغير تحالفاته مع أحزاب سياسية أخرى. في عام 2005، صاغ حزب الله وأمل اتفاقاً انتخابياً مع الحزب التقدمي الاشتراكي لوليد جنبلاط، وحركة المستقبل لسعد الحريري، وحلفائهم المسيحيين (القوات اللبنانية لسمير جعجع والكائب المسيحية لعائلة الجميل). وفقاً لجوزيف الأغا، رمى نصر الله عمامته، في مواجهة لمؤيديه الغاضبين الذين رفضوا قبول الائتلاف مع جنبلاط، وقال "ألا يعني هذا أي شيء لكم؟" مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 23 أيار (مايو) 2007. تفكك الائتلاف في كانون الثاني 2006 باشتداد التوتر السياسي مع قوى 14 آذار.

<sup>P(T65T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، يوسف سبيتي، كفر، 27 نيسان (أبريل) 2007.

وشارك الأمين العام، الشيخ فيصل المولوي، في وفد من قادة الإخوان المسلمين بزيارة رسمية لآية الله الخميني في طهران بعد ثورة 1979 بوقت قصير P(T76T). ولقد أدت سنوات من المواجهة مع إسرائيل إلى زيادة تعميق وتوثيق التعاون بين حزب الله والجماعة الإسلامية، وبلغت ذروتها في الثمانينات في عمليات مشتركة. وازدادت اشتداد الروابط باحتجاز إسرائيل قادة من الحركتين في معسكر أنصار في 1983-1984.

بعد اغتيال الحريري، تدهورت العلاقات تدهورا كبيرا. ولفترة من الزمن، جعلت حرب عام 2006 الساعة تعود إلى الوراء، باعثة حياة جديدة لمحور مقاتل "مضاد للإمبريالية" يتجاوز الهوية الطائفية ويجمع بين الحركات الشيعية (حزب الله وأمل) والحلفاء السوريين P(T77T)، فضلا عن مجموعة متنوعة من الأحزاب التي تتقاسم خطوطا عريضة لنظرة أيديولوجية (حزب المجتمع والحزب السوري القومي الاجتماعي P(T78T)، والحركات الإسلامية مثل الجماعة الإسلامية وحزب التحرير وحزب التوحيد الموالي لإيران والسلفيين) P(T79T). وخلال الحرب، صرح إبراهيم المصري، نائب الأمين العام للجماعة الإسلامية لكرايسز جروب:

كل شهيد من شهداء حزب الله هو واحد من شهدائنا ويمثل انتصارا ضد المشروع الصهيوني. وإذا خسرت المقاومة، تخسر فلسطين. وهذا هو السبب في أن أولوياتنا اليوم هي دعم المقاومة. إضافة إلى هذا، فإن الوضع في لبنان سيحل الوضع في العراق من خلال إعلام المقاومة هناك أن ثمة ما هو أهم بكثير من النزاع الطائفي، ألا وهو النضال ضد المشروع الأمريكي. وبالنسبة للجزء الأكبر، احتشدت الحركة السلفية في جميع أنحاء العالم العربي الآن حول المقاومة، على الرغم من أنها تقاد من قبل الشيعة P(T80T).

وأيا كانت أيديولوجية التضامن الموجودة، لم يكتب لها البقاء على قيد الحياة طويلا. فور انتهاء الحرب، تحول الاهتمام إلى الجبهة الداخلية، وأخذ الانقسام السني/ الشيعي مركز الصدارة. وإذا ساور حزب الله القلق إزاء محاولات جعل وضعه المسلح غير شرعي، طالب بتشكيل حكومة وحدة وطنية بحيث يملك حلفائه سلطة النقض للقرارات الاستراتيجية. وبحلول آذار (مارس) 2007، صرح إبراهيم المصري وجهة نظر مختلفة تماما، فقال:

P(T76T) مقابلة كرايسز جروب، إبراهيم المصري، نائب الأمين العام للجماعة الإسلامية، بيروت، 20 أيلول (سبتمبر) 2007.  
P(T77T) متضمنا قوى مرتبطة بعمر كرامي، النصير السياسي القديم للسنة في طرابلس، سليمان فرنجية، زعيم ماروني، وفتحي يكن، واعظ إسلامي سني مؤيد لسوريا.

P(T78T) تمجد كلمات أغنية لجوليا بطرس، عضو مسيحي في الحزب السوري القومي الاشتراكي، "رجال الله"- وبكلمات أخرى، مقاتلي حزب الله- ومفعمة بمقتطفات من خطاب نصر الله.

P(T79T) بعد الحذر المبدئي بخصوص الحرب، ساند السلفيون حزب الله علنا، بعضهم ملتقون من موقف السعودية الأقل معاداة وبعضهم الآخر من تلميحات الدعم من قبل الرجل الثاني في القاعدة، أيمن الظواهري. مقابلات كرايسز جروب، مقاتلون وواعظون سلفيون، طرابلس، تشرين أول (أكتوبر) 2006.

P(T80T) مقابلة كرايسز جروب، إبراهيم المصري، بيروت، 28 تموز (يوليو) 2006.

الإسلامية (في مقابل الشيعية) وتحرص على عدم استخدام القوة العسكرية لتعزيز جدول أعمال محلي.

وفي الآونة الأخيرة، تلطخت الصورة بشدة. وهذا، إلى حد ما، الوجه الآخر من مكاسب حزب الله ضمن دائرته الانتخابية ومؤشرا للأزمة السياسية الصعبة التي تواجهه الآن. وسرعان ما أصبحت فكرة جبهة أيديولوجية، فوق الطائفية، تدعم المقاومة شيئا من الماضي. ويمكن تفسير أي دعم غير شيعي موجود لحزب الله بناء على حسابات دنيوية تشبه الألاعيب السياسية التقليدية في لبنان وليس بسبب التقارب الأيديولوجي.

## 1. الانشقاق مع الإسلاميين السنة

بالنظر إلى جميع علاقات حزب الله، فإن الأكثر تضررا كانت علاقاته مع الطائفة السنية. لقد انعكس شعور الشيعة على أنهم مهددون بين السنة. فلقد اعتبر اغتيال الحريري بأنه "زلزال" P(T71T) و "اعتداء على جميع السنة" P(T72T). وأضاف هذا إلى القلق القائم بشأن التعزيز الواضح للطائفة الشيعية كما يتضح من تزايد دورها السياسي ونشاطها الديموغرافي وتنامي ثروتها، ومن خلال حزب الله، هيمنة قوتها العسكرية. واصطف معظم قادة السلفيين في طرابلس، وهي معقل السنة في الشمال، وراء تيار المستقبل التابع للحريري وساندوه خلال الانتخابات البرلمانية في أيار (مايو)-حزيران (يونيو) 2005 P(T73T). وكانت الحرب وتداعياتها نقطة الانقلاب في طرابلس، "منذ انتهاء الحرب، تحرك جميع القادة الإسلاميين حول المحادثات الطائفية. كانوا في السابق ينتقدون سعد الحريري لمواقفه الموالية للأمريكيين ولبرنامج الاقتصاد. أصبح كل ذلك أمرا ثانويا. الآن، ينظرون إليه بوصفه المدافع والحامي الوحيد للسنة" P(T74T). وذهب آخرون ليقولوا إن "موت رفيق الحريري كان بمثابة زلزال دفعنا إلى الوقوف وراء سعد الحريري" P(T75T).

وقد كان التغيير أكثر وضوحا فيما يتعلق بالإسلاميين السنة. أيديولوجيا، كان حزب الله أكثر قربا إلى جماعات مثل الجماعة الإسلامية، وهي حركة سنية إسلامية تعود جذورها إلى جماعة الإخوان المسلمين، منه إلى أي حركة غير شيعية أخرى. وبوضع الخلافات الطائفية جانبا، كلاهما يعتنقان مبدأ الجهاد في الإسلام كأداة للنضال السياسي والإصلاح الاجتماعي، وكلاهما يحملان رؤى دينية للمقاومة. وجد مؤسسو الجماعة الإسلامية بداية الكثير من العوامل المشتركة مع نهج الصدر للشعبة الناشطة، ثم مع نهج فضل الله. وذهبت الجماعة الإسلامية إلى حد المشاركة في تظاهرة مشتركة مع الشيعة في بيروت لدعم الثورة الإيرانية؛

P(T71T) مقابلة كرايسز جروب، شيخ سني، طرابلس، 25 أيار (مايو) 2006.

P(T72T) مقابلة كرايسز جروب، شيخ سلفي، طرابلس، 14 حزيران (يونيو) 2006.

P(T73T) مقابلة كرايسز جروب، واعظون سلفيون، طرابلس، حزيران (يونيو) تموز (يوليو) 2006.

P(T74T) مقابلة كرايسز جروب، ناشط سياسي يرتبط بتيار المستقبل، طرابلس، 13 شباط (فبراير) 2007.

P(T75T) مقابلة كرايسز جروب، شيخ سلفي مستقل، طرابلس، 23 حزيران (يونيو) 2006.

الصدع مع الإسلاميين السنة، رغم أنهم يعززون ذلك إلى المساعدات المالية التي يحصلون عليها من تيار المستقبل<sup>P(T84T)</sup>.

وغالبا ما انتصرت الولاءات الطائفية في نهاية المطاف على التقارب الأيديولوجي. هناك استثناءات تطف إلى حد ما من شدة الاستقطاب الطائفي، على الرغم من أنها أيضاً لا تتعلق بالأيديولوجية. بل هي دالة إما على دور سوريا أو ثقل السياسة المحلية. وهكذا، لا يزال حزب الله يحظى بتأييد الأفراد أو المجموعات السنوية المؤيدة لسورية، مثل جبهة العمل الإسلامي<sup>P(T85T)</sup>، فضلا عن العديد من الساسة السنة المحليين المحرضين ضد أعضاء تيار المستقبل التابع للحريي<sup>P(T86T)</sup>. لا يمثل أي من هؤلاء مركز ثقل الطائفة السنوية، ومعظمهم يدفع ثمن الانقسامات الطائفية الحالية؛ فهم أقلية متقلصة، وهذه ظاهرة تعكس الوضع بين الدروز<sup>P(T87T)</sup>.

عمليا، هذا يعني أن أهم حليف غير شيعي لحزب الله، ومفتاح تجنب التصنيف بالطائفية، هو ميشال عون.

## 2. التحالف مع عون

يتحدى التحالف بين حزب الله والتيار الوطني الحر التابع لعون المنطق بأكثر من ناحية. فلقد قاد في الفترة 1989-1990، مقاومة عسكرية ضد سوريا، مما أدى إلى نفيه قسريا لمدة خمس عشرة سنة في فرنسا حيث واصل من هناك تحديه لدمشق. لعب أتباعه دورا هاما في الحملة التي أدت إلى انسحاب سوريا عام 2005. وعموما، فإن موقفه موالية للغرب. وطالب مرارا ومنذ وقت طويل بنزع سلاح حزب الله، وعند عودته إلى لبنان، أثار حفيظة الحركة الشيعية بالدعوة إلى عودة اللبنانيين الذين لجأوا إلى إسرائيل<sup>P(T88T)</sup>.

حزب الله جيد في المقاومة، ولكنه سيئ في السياسة. فهو يساهم في الفتنة الطائفية. إن استقالة الوزراء الشيعة ورفض حزب الله للحكومة وتنظيمه لإضراب عام في قلب المناطق السنوية أمر غير مقبول. لقد أصبح حزب الله طابور خامس يخدم مصالح أجنبية ولا نستطيع أن نتحمل ذلك. بالطبع، نؤيد فكرة المقاومة. ولكن بما أن قوات الأمم المتحدة والجيش اللبناني موجودة في الجنوب الآن، فليس هناك حاجة للمقاومة<sup>P(T81T)</sup>.

في الواقع، كان التحالف نفسه في زمن الحرب سطحيا. أفاد عبد الغني عماد، وهو أستاذ جامعي وخبير في الشؤون الإسلامية، "حتى أثناء الحرب، دعمت الجماعة الإسلامية المقاومة وليس حزب الله في حد ذاته. فهي تخشى حزب الله وتخشى جزم الشيعة المجدد، وعلى أي حال، فهي متفقة على نطاق واسع مع قوات 14 آذار على نقاط رئيسية: المحكمة الدولية والحاجة إلى استبدال الرئيس لحود وأن على الجيش الوطني أن يضمن الحماية والدفاع عن البلاد"<sup>P(T82T)</sup>.

خلال الجزء الأخير من الحرب، سرعان ما قطع الواعظون السلفيون الموالون للسعودية، الذين كانوا يدعمون حزب الله، العلاقات مع الحركة كنتيجة لحملة إسقاط الحكومة والسيطرة على مركز بيروت. أثارت انتقادات نصر الله المقنعة ضد المملكة العربية السعودية، التي انتقد فيها ضمنا استخدام الأموال السعودية من أجل إعادة بناء لبنان، ردود فعل غاضبة وزينت الأعلام السعودية المنازل في الأحياء السنوية للإعراب عن الامتنان لمساعدة الرياض. معارضة حزب الله للمحكمة الدولية، التي تعتبر تمسكا أعمى بدمشق، أدت إلى تعميق الصدع مع السنة من المناطق الشمالية، الذين عانوا خلال الوجود العسكري لسوريا تحديدا<sup>P(T83T)</sup>. يعترف المسؤولون في حزب الله بتزايد

<sup>P(T81T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، ابراهيم المصري، بيروت، 13 آذار (مارس) 2007. صرح مقاتل سابق في حزب الجماعة الإسلامية، "عندما نكون في حالة حرب مع إسرائيل، يجب أن ندعم الذين يقاتلون. ولكننا نعرف أيضا أن حزب الله يقاتل على أسس طائفية، وأن أهدافه تختلف عن أهدافنا، كما أنه يحاول احتكار المقاومة"، مقابلة كرايسز جروب، طرابلس، 18 تشرين أول (أكتوبر) 2006.

<sup>P(T82T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، عبد الغني عماد، طرابلس، 3 شباط (فبراير) 2007. بشكل عام، حاول حزب الله تقليل أهمية الفتنة، مشيرا إلى أنه على اتصال مع الجماعة الإسلامية، مقابلة كرايسز جروب، محمود فماتي، بيروت، 19 أيلول (سبتمبر) 2007، ويتوقع تعاون عسكري مجدد في الجنوب ضد إسرائيل. أصدرت الجماعات في 25 أيلول (سبتمبر) بيانا مشتركا مؤكدا الحاجة إلى "الوصول إلى اتفاق على رئيس منتخب حسب الدستور"، السفير، 26 أيلول (سبتمبر) 2006. وقبل عدة شهور، فسر نائب الأمين العام للجماعة الإسلامية هذه الاتصالات المستمرة على أنها رغبة مشتركة لمنع المزيد من التدهور الطائفي بدلا من برنامج أيديولوجي مشترك. مقابلة كرايسز جروب، ابراهيم المصري، بيروت، 13 آذار (مارس) 2007. ولكن هذا لم يمح العداة الضمني. حيث يخشى الإسلاميون السنة محاولات حزب الله بالتسلل إلى بيروت الغربية، مقابلة كرايسز جروب، عضو في الجماعة الإسلامية، بيروت، 17 أيلول (سبتمبر) 2007، في حين لا يخفي أعضاء كثيرون من حزب الله نفورهم من الإسلاميين السنة. مقابلات كرايسز جروب، رجل دين من حزب الله ومقاتلون من المقاومة، البقاع، 4 نيسان (أبريل) 2007.  
<sup>P(T83T)P</sup> صرح شيخ سلفي، "إذا كان علي الاختيار بين العودة إلى الاحتلال الإسرائيلي أو السوري، سأختار الإسرائيلي. على الأقل لم يقوموا بقتل أمي".

مقابلة كرايسز جروب، طرابلس، 28 كانون ثاني (يناير) 2007. (لم تكن طرابلس قط تحت الاحتلال الإسرائيلي).

<sup>P(T84T)P</sup> مقابلات كرايسز جروب، زعماء سياسيون من حزب الله، بيروت، أيلول (سبتمبر) 2007. أفاد سعد الله خليل، وهو رجل دين له علاقات وطيدة مع حزب الله، أن الجماعة الإسلامية قد أفسدت وأنها تخدم الآن المصالح الأمريكية: "لقد خانت مبادئها التأسيسية ووافقت على الخوض في اللعبة الطائفية. قلبها يقع في مكان، والمال في مكان آخر"، مقابلة كرايسز جروب، العاللي، جنوب لبنان، 27 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T85T)P</sup> تشمل جبهة العمل الإسلامي ضمن آخرين، فتحي يكن، واعظ سني، حركة الوحدة الإسلامية التابعة للشيخ بلال سعيد شعبان وعادل نصار الجبري، رئيس معهد الدعوة الإسلامي. منافس الجبهة هو اللقاء الإسلامي المستقل، وهو تجمع من العلماء والنشطاء المتعاطفين مع تيار المستقبل للحريي، بما فيه داعي إسلام الشمال (رئيس تيار سلفي في الشمال) وشيوخ آخرون من منطقة طرابلس، مثل زكريا المصري وبلال بارودي (وينظر إليهما على أنهما مؤيدان للسعودية) وخليل الضارر، عضو سابق في الجماعة الإسلامية.  
<sup>P(T86T)P</sup> تفسر المنافسة السنوية موقف أسامة سعد في صيدا وعمر كرامي

في طرابلس المعادي للحريي.  
<sup>P(T87T)P</sup> على سبيل المثال، قطع ونام وهاب، وهو عضو سابق في حركة جنبلاط، العلاقات معه في التسعينات وهو متحالف مع سوريا.  
<sup>P(T88T)P</sup> لدراسة مفصلة لحركة عون، انظر هيكو ويمين، "الاختشاد حول

الخائن" تقرير الشرق الأوسط على الإنترنت، 27 آب (أغسطس) 2007.

وسعت إلى تهميشه<sup>P(T95T)</sup>. وربما رأى عون أيضا في حزب الله ممثلا لمجتمع أقلية، مثل المسيحيين، في منطقة يسيطر عليها السنة بكثافة. ادعى عون أنه يرد على "محاولات لقمع حق المسيحيين والشيعية"<sup>P(T96T)</sup>، ولكنه صرح ل كرايسز جروب، أن هدفه في الواقع هو حماية وحدة لبنان وتجنب الصدام الطائفي وإيجاد وسيلة سلمية يتم الإجماع عليها لتحقيق هدفه بنزع سلاح حزب الله وبناء مجتمع غير طائفي<sup>P(T97T)</sup>.

ورغم أن التحالف هش في الأصل بالنظر إلى الخلافات الأيديولوجية، إلا أنه وقف في وجه الضغوط والتحديات الخطيرة، وعلى الرغم من أن عون قد دفع ثمنا سياسيا حادا<sup>P(T98T)</sup> لم يقم بدعم العملية العسكرية الميدانية لحزب الله في تموز (يوليو) 2006 علنا، ولكنه أيد الحركة بثبات خلال الحرب، والأهم من ذلك، تأكد من قيام الموالين له بتقديم العون والمأوى للمشردين الشيعة. الاختبار الحقيقي للعلاقة بين حزب الله/ والتيار الوطني الحر سيأتي مع الانتخابات الرئاسية، التي يصمم عون على الفوز بها<sup>P(T99T)</sup>.

يواجه حزب الله معضلة صعبة. فمن جهة، وبالنظر إلى دعمه القوي، لا سيما أثناء الحرب، وخطر فقدان حليفه غير الشيعي

ومع ذلك، توصلت الحركتان في شباط (فبراير) 2006 إلى اتفاق، مذكرة تفاهم التيار الوطني الحر - حزب الله. وتعكس دعوة عون القديمة للإصلاح الانتخابي (للحد من تأثير المال السياسي والتعصب الطائفي)؛ والإصلاح المؤسسي (للقضاء على الفساد)؛ وعودة المواطنين اللبنانيين الذين يعيشون في إسرائيل؛ ودعم المحكمة الدولية<sup>P(T89T)</sup>؛ واحترام السوريين لسيادة لبنان (بما في ذلك، ترسيم الحدود، والكشف عن مصير المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية؛ وإقامة علاقات ديبلوماسية)<sup>P(T90T)</sup>؛ وعملية "من شأنها أن تؤدي إلى وقف أسباب ومبررات" أسلحة حزب الله<sup>P(T91T)</sup>. فهي تجيز المقاومة المسلحة<sup>P(T92T)</sup>، محققة الشرط الأساسي لحزب الله. وهكذا، في حين يستطيع عون الادعاء أن الاتفاق يتوقع عملية تهدف إلى نزع سلاح الحركة الشيعية<sup>P(T93T)</sup>، يمكن لحزب الله أن يشير إلى الشروط الأساسية الهامة. ينص الاتفاق على أن "حمل السلاح... هو وسيلة مشرفة ومقدسة تمارسها أي جماعة أرضها محتلة"، ويذكر "مبررات... لإبقاء الأسلحة": احتلال إسرائيل لمزارع شبعا واعتقالها "لأفراد المقاومة اللبنانية" وتهديدها للبنان<sup>P(T94T)</sup>.

لقد تيسر التقارب إلى حد أبعد من خلال المواقف المماثلة للحركتين كخارجين نسبيا عن النظام السياسي، وكممثلين للنفور الاجتماعي من هيمنة المدنيين البورجوازيين السنة والمسيحيين. بالنسبة لحزب الله، كان أيضا بمثابة وسيلة لتجنب فخ الطائفية من خلال بناء علاقات مع لاعبين متنفذين غير شيعي. أما بالنسبة إلى عون، الذي حظي في ذلك الوقت بتأييد أغلبية واضحة من المجتمع المسيحي، كان الدافع الرئيسي هو التنافس مع القيادة المسيحية الأكثر تقليدية، التي انضمت إلى تحالف 14 آذار

كان التنافس على أشده بين عون وسمير ججعج، زعيم القوات اللبنانية<sup>P(T95T)</sup> مقابلة مع الجزيرة، 11 آب (أغسطس) 2007. قال أحد أتباع عون أن هذا أيضا هدف حزب الله: "بخشى الشيعة من العيش في دولة يسيطر عليها السنة، وفي حالة فقد العلويين للسلطة في سوريا، كونهم في بحر من السنة". مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 تموز (يوليو) 2007.<sup>P(T96T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، ميشيل عون، بيروت، 2 كانون أول (ديسمبر) 2006.<sup>P(T97T)</sup> يدرك أتباع عون أنهم قد خسروا بعض الدعم، رغم أنهم يجادلون أن المجتمع المسيحي سيدعمهم في نهاية المطاف. وبكلمات عون: "من أجل حماية السلام الطائفي، كنا على أتم استعداد أن نخسر بعضا من شعبيتنا". مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 20 تموز (يوليو) 2006. وحسب معظم استطلاعات الرأي، كلف التحالف حركة عون دعما هاما من المجتمع المسيحي. ورغم أن مرشحي التحالف فازوا في الانتخابات الفرعية في آب (أغسطس) 2007 في منطقة المتن، إلا أن دعم المسيحيين للحركة الوطنية الحرة قد هبط من 69.6% في أيار (مايو) 2005 إلى 50.06%. يمكن تفسير الهبوط جزئيا عبر عوامل أخرى. كان مرشح العونيين، كميل خوري، غير معروف قدر منافسه، الرئيس السابق أمين الجميل، الذي اغتيل ابنه في 21 تشرين الثاني 2006.<sup>P(T98T)</sup>

يتم انتخاب الرئيس من قبل أعضاء البرلمان. تشير المادة 49 من الدستور إلى مرشح يتم الإجماع عليه، رغم أن هذا ليس إجباريا. ووفقا للمادة 49 (2)، "سيتم انتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري وبأغلبية ثلثي مجلس النواب. بعد الاقتراع الأول، ستكون الأغلبية المطلقة كافية". ويشترط الدستور على "يتم دعوة المجلس للاجتماع قبل انتهاء مدة حكم رئيس الجمهورية بما لا يقل عن شهر ولا يزيد عن شهرين من قبل الرئيس لانتخاب رئيس الجمهورية الجديد"، مما يعني أن الانتخابات يجب أن تحدث في الفترة بين 24 أيلول (سبتمبر) و24 تشرين ثاني (نوفمبر) 2007. ودعما لضرورة استيفاء النصاب القانوني (الثلثين)، تستشهد المعارضة بالأعراف، مجادلين أنه تم احترام المبدأ هذا دائما. كما يستشهد القضاة المقربون من المعارضة بحدثة انتخابات عام 1976 السابقة، التي تعتبر الأولى من حيث عدم وجود صفقة سياسية قبل الانتخابات. سأل البرلمان محامين متخصصين في الدستور، وهما إدموند رباط وجورج فيديل (فرنسي)، حول رأيهما في المادة 49. وتوصلا إلى أن انتخاب الرئيس يتطلب وجود ثلثي النواب، وصادق البرلمان على موقفيهما. مقابلة كرايسز جروب، غسان مخيبر، قاضي وعضو في البرلمان، بيروت، 3 تشرين أول (أكتوبر) 2007؛ أنظر أيضا إميل بييجاني، "انتخاب رئيس الجمهورية" (بيروت 1987).

عندما تم سؤاله عن كيف يمكنه الانضمام إلى حزب الله بالأخذ بعين الاعتبار موقفه المتناقض حول هذا الموضوع، أشار عون إلى مصادقة الوثيقة بوضوح على المحكمة الدولية وناشد حلفاءه على التصويت عليها إذا تم تشكيل حكومة وحدة وطنية. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 2 كانون أول (ديسمبر) 2006.<sup>P(T89T)</sup>

تقطع هذه لكثير من الخطوط الحمراء السورية. لقد كان عون أحد أكثر الدعاة للبنانيين المعتقلين في السجون السورية ربما "لأنه من السياسيين النادرين، كونه نفي، الذين يدعون أنهم لم يتعاونوا مع سوريا سواء بسلبية أو إيجابية". مقابلة كرايسز جروب، غازي عاد، رئيس "سوليد" (Solide)، وهي منظمة غير حكومية تعمل كليا في مجال التعريف بحالات اللبنانيين المختفين، أيار (مايو) 2006.<sup>P(T90T)</sup>

"أوراق التفاهم المشترك بين حزب الله والتيار الوطني الحر"، على موقع موقفي مقابلة كرايسز جروب، غسان مخيبر، عضو في البرلمان موالى لعون، بيروت، 10 آب (أغسطس) 2007.<sup>P(T91T)</sup>

مقابلة كرايسز جروب، غالب أبو زينب، عضو مجلس حزب الله ومؤلف وثيقة التفاهم المشترك، بيروت، 23 تموز (يوليو) 2007.<sup>P(T92T)</sup> صرح عون ل كرايسز جروب، أن الاتفاق يهدف إلى نزع السلاح التدريجي من حزب الله من خلال عملية سياسية، مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 2 كانون أول (ديسمبر) 2006. خلافا لقرار 1559، الذي يتطرق إلى تفكيك الميليشيات، ولكن "لم يقدم أي طريقة عملية لتحقيق ذلك، وأي عملية داخلية لتطبيقه"، ويجادل العونيين، أن الاتفاق مع حزب الله يحقق ذلك، مقابلة كرايسز جروب، غسان مخيبر، 3 تموز (يوليو) 2007.<sup>P(T93T)</sup>

قال زعيم من حزب الله: "نعرف أن عون يريد نزع أسلحتنا وأن رأيه وموقفه يتماشى مع القرار 1559. ولكن، لا يوجد لدينا مشكلة طالما لا يوجد مواعيد نهائية محددة ولا توجد آلية معينة". مقابلة كرايسز جروب، زعيم من حزب الله، بيروت، 15 أيلول (سبتمبر) 2007.<sup>P(T94T)</sup>



حركة عون في وضع يمكنها من أن تلعب دوراً حاسماً في إقناع حزب الله بقبول التسوية في نهاية المطاف. ليس هناك شك في أن التحالف قد ساعد حزب الله كثيراً (بتوفير شرعية غير شيعية لوضعها المسلح)، في حين تسبب في إضعاف عون بشكل كبير؛ ومن الواضح أيضاً أنه في حين يحتاج حزب الله إلى دعم عون بالنظر إلى ارتفاع حدة التوترات الطائفية، فإن عون يرغب في أن يثبت أن تحالفه قد أتى ثماره<sup>P(T110T)</sup>. وكنتيجة لذلك، فالفرصة متاحة أمام أتباع عون لاستخدام نفوذهم لإقناع الحركة الشيعية لقبول برنامج حكومي من شأنه أن يحد من استخدام أسلحته لأغراض دفاعية فقط (أنظر أدناه).

الرئيسي، يشعر حزب الله بضرورة دعمه لعون؛ ووفقاً لنائب الأمين العام لحزب الله، إنه "المرشح الوحيد بين المعارضة حتى الآن"<sup>P(T100T)</sup>. كما قال زعيم كبير آخر في حزب الله، "لا نستطيع خيانتته وطعنه في ظهره"<sup>P(T101T)</sup>. ويحذر مستشار وثيق الصلة بعون قائلاً، "إذا أسقط حزب الله عون كمرشح عنه، عندئذ سوف يسقط عون حزب الله"<sup>P(T102T)</sup>.

ومن جهة أخرى، لا يعتبر عون مرشحاً واقعياً ولا مثالياً. فهو يواجه عقبات لا يمكن تخطيها بالنظر إلى معارضة 14 آذار القوية؛ فكما صرح أحد أعضاء المعارضة، "نحن على استعداد للعيش وفقاً لمنهاج عون ووجهات نظره ولكن ليس مع عون"<sup>P(T103T)</sup>. وتقلق شخصيته "غير المستقرة"<sup>P(T104T)</sup>، وطابعه الذي لا يمكن التنبؤ به ليس فقط التحالف الموالي للحكومة، بل أيضاً حزب الله. ونظراً لسجل معارضته للهيمنة السورية، فمن المؤكد أن تفضل دمشق رئيساً طبعاً وأكثر ضعفاً ومروراً. وكما لاحظ أحد نواب عون، "إنها في الحقيقة ليست في مصلحة حزب الله أن يصل عون إلى السلطة، لأن اللواء يرغب حقاً في مواصلة السعي نحو أجندة تتضمن بناء الدولة ونزع سلاح الميليشيات. إن حزب الله محتار ومتردد: إنه في الواقع لا يريد عون، ولكن، منذ حرب تموز (يوليو) وهو يدين لعون بدين أدبي ضخم"<sup>P(T105T)</sup>. وكما أفاد مراقب سياسي له علاقات وثيقة مع الفريقين، "يؤيد حزب الله عون بوصفه مرشح، ولكنه في النهاية ليس مرشحهم"<sup>P(T106T)</sup>.

وفقاً لمصادر مختلفة، يفكر حزب الله في إبرام صفقة يتم من خلالها تخلي عون عن الرئاسة في مقابل أن يكون له الدور الأقوى في اختيار المرشح الرئاسي<sup>P(T107T)</sup>، والمناصب الوزارية المهمة في الحكومة المقبلة والوصول إلى قانون انتخابي أكثر مواتية للمسيحيين<sup>P(T108T)</sup>. الآن، لا يزال تصميم عون الجلي على أن يصبح الرئيس - الأمر الذي فاجأ حزب الله إلى حد ما - عاملاً رئيسياً يعقد الأمور<sup>P(T109T)</sup>. وبذلك، قد تكون

<sup>P(T100T)P</sup> نعيم قاسم، اقتبست من الشرق الأوسط، 18 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T101T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، محمود قماطي، بيروت، 19 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T102T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، مستشار مقرب من عون، بيروت، 20 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T103T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، عضو من حركة 14 آذار (مارس)، أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T104T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 14 آب (أغسطس) 2007.

<sup>P(T105T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، عضو برلمان موالٍ لعون، بيروت، 3 تموز (يوليو) 2007.

<sup>P(T106T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 14 آب (أغسطس) 2007.

<sup>P(T107T)P</sup> مقابلة مع كرايسز جروب، قال قماطي، "سيتم انتخاب أعضاء حزب الله في البرلمان إما عون أو مرشح يقوم هو بتحديد، مقابلة كرايسز جروب، محمود قماطي، بيروت، 19 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T108T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، جين عزيز، بيروت 25 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T109T)P</sup> بكلمات عون، "لن أتنازل أبداً، ... سأشعر بالذنب أمام الله إذا تراجعت، الشرق الأوسط، 21 أيلول (سبتمبر) 2007. تم تأكيد هذا الموقف من قبل جين عزيز، مدير قسم الأخبار في محطة عون التلفزيونية. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 25 أيلول (سبتمبر) 2007. عرض دبلوماسي أوروبي مرتبط بهذه العملية وجهة نظر أخرى، مخمناً أن موقف عون كان

مجرد مقدمة لمفاوضات عنيفة وأن اللواء كان مدركاً أنه لن يصبح رئيساً. مقابلة كرايسز، نيويورك، 26 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T110T)P</sup> يتهم بعض أعضاء حركة آذار أنصار عون على أنهم قد أصبحوا مجرد أداة في يد حزب الله. مقابلة كرايسز جروب، مايكل يونغ، محلل سياسي، بيروت، 4 أكتوبر 2007.

**2. المقاومة بعد الحرب****أ. معادلة عسكرية جديدة**

محروما من هامش المناورة بسبب وجود 15000 جندي لبناني و 13000 جندي ينتمي لقوات الأمم المتحدة، التي تم تعزيز وسائلها وولايتها بالقرار 1701، والتي طبقا لها، تم إعادة انتشار حزب الله ونقله من المنطقة الحدودية إلى شمال نهر الليطاني.

علوة على ذلك، أدرك حزب الله أن حالة العلاقات المشتركة بين الطوائف هذه تعني خطر عدم وجود أي ملاذ آمن للشيعنة في حال تجدد المواجهة. وأن الشيعة لا يريدون المزيد من القتال. استمعت Group Crisis إلى مجموعة من الشكاوى من سكان الجنوب الذين، وإن كانوا يدعمون وضع حزب الله المسلح للردع، ينتقدون تركيزه المصمم على المقاومة وتطلعاته إلى تبوء دور إقليمي وعدم كفاية جهوده المبذولة لمساعدة المدنيين P(T114T) وبمعزل عن التفريط بدائرته الانتخابية وتعريضها للخطر، سيجد حزب الله أنه من الصعب تنفيذ أي عمل عسكري في الجنوب من دون استفزاز ومبرر. وفي الوقت الحالي، وقف حزب الله هجماته المعروفة باسم "العمليات التذكيرية" التي كان يقوم بتنفيذها بصفة دورية في مزارع شبعا P(T115T).

لقد تكيف حزب الله في عدة طرق. أصبح التحول من المقاومة إلى الردع - وهو اتجاه بدأ مع انسحاب عام 2000- أكثر وضوحا، مع الكثير من النشاطات اليومية التي تركز على إحياء مآثر الماضي P(T116T). إن الوجود الأمني المكثف في الجنوب هو حاجز يعيق ولكنه أيضا قد يوفر الحماية. وصف شيخ موالي لحزب الله هناك قوات الأمم المتحدة (اليونيفيل) على أنها جزء لا يتجزأ من الاستراتيجية الدفاعية للحركة. "بالطبع، يصرح حزب الله علنا أن اليونيفيل تخدم مصالح إسرائيل. ولكن لدينا اتصالات مكثفة مع اليونيفيل، ونحن على ثقة بفادتها المحليين. ونحن نعرف أن وجودها يجعل أي هجوم إسرائيلي أكثر صعوبة، وفي حالة نشوب حرب، فمن غير المتصور أن تشن قوات الأمم المتحدة هجوما على المقاومة" P(T117T). ويردد نفس الرأي

دفاع جين الأسبوعية Jane's Defense Weekly، 11 نيسان (أبريل) 2007.

مقابلات كرايسز جروب، جنوب لبنان، أيار (مايو) 2007. وفقا لثيمور جوسكل، لا يتحمل حزب الله مواجهة أخرى في هذا الوقت لأن "حتى قاعدته الاجتماعية لن تقبل بذلك، أخذين في الاعتبار حجم المعاناة في المرة الماضية". مقابلة كرايسز جروب، 3 شباط (فبراير) 2007.

أفاد حزب الله أن هذه ستستأنف " فور فشل المجتمع الدولي في تحرير مزارع شبعا". نبيل قاووق، اقتبست من أمل سعد غورايب، " بكلماتهم: استراتيجية حزب الله في المواجهة الحالية"، Policy Outlook، منح كارنجي للسلام العالمي، كانون الثاني 2007، ص. 13.

وتتضمن هذه، احتفالات بانسحاب إسرائيل عام 2000؛ عاشوراء (للاحتفال بذكرى استشهاد الإمام الحسين)؛ ذكرى وفاة اثنين من زعماء حزب الله، عباس الموسوي وراغب حرب؛ "أسبوع المقاومة الإسلامية"؛ و "يوم الشهيد"؛ و "أسبوع الوحدة الإسلامية"؛ ومهرجان دعم المقاومة؛ ويوم القدس؛ ويوم الجريح؛ ومناسبة ذكرى وفاة الإمام الخميني؛ ومهرجان "النصر الإلهي". وإثر الحرب، انتجت الحركة الكثير من الأشعار والقصائد والأغاني والأفراص المضغوطة لتمجيد مقاتليها. في آب (أغسطس) 2007، افتتحت متحفا في الهواء الطلق في جنوب بيروت عارضة فيه روايتها عن حرب عام 2006 لفصح فكرة أن إسرائيل لا تقهر. سميت "بيت العنكبوت" المصطلح المستخدم من قبل نصر الله لوصف جيش إسرائيل الذي يبدو صلبا من الخارج ولكنه هش من الداخل.

مقابلة كرايسز جروب، سعد الله خليل، العاللي، جنوب لبنان، 27 نيسان (أبريل) 2007.

في الأشهر التي تلت الحرب، اختلف الكثير من المراقبين والأطراف السياسية الفاعلة حول حجم معاناة الترسانة العسكرية لحزب الله P(T111T). لقد فقد هذا السؤال كثيرا من أهميته. هناك الآن إجماع فعلي على أن حزب الله قد جدد مخزونه. وبتأكيد أنه الحركة قد عززت قدرتها العسكرية وأنها تمتلك ما لا يقل عن 20000 صاروخ، أعطى نصر الله ضمنا مصداقية لادعاءات الأمم المتحدة وإسرائيل وغيرها بأنه قد تم نقل الأسلحة عبر الحدود السورية - اللبنانية منتهكين بذلك القرار P(T112T) p1701. كما اعترض الجيش اللبناني أيضا شحنات أسلحة يدعي أنها لحزب الله.

وبالرغم من تعزيز قدراته من حيث العناد، يجد حزب الله نفسه في موقع استراتيجي أكثر صعوبة. وعلى الرغم من "النصر الإلهي"، فلقد أدت الحرب إلى تعقيد موقفه العسكري. ففي الجنوب، خسر حزب الله شبكة مستودعاته والمواقع المحصنة التي بناها بصبر منذ عام 2000 P(T113T). كما أنه أصبح

من الصعب تقدير حجم الدمار الذي عانى منه حزب الله. وفقا للحركة، قتل حوالي 200 من مقاتليها، مقابلة كرايسز جروب، محمود قماطي، 3 شباط (فبراير) 2007، ولكن من المحتمل أن يكون الرقم الحقيقي أعلى قليلا من هذا. وفي تقرير Human Rights Watch، قدرت مقتل 250 من مقاتلي حزب الله،

[http://hrw.org/reports/2007/lebanon0907/10.htm#\\_Toc175028505](http://hrw.org/reports/2007/lebanon0907/10.htm#_Toc175028505). الفئات المختلفة (احتياط ومهنيين وأهل القرى المسلحين) تجعل من الصعب إجراء تقييم دقيق. وحسب رأي بعض المحللين العسكريين، دمر الهجوم الإسرائيلي جزءا لا بأس به من البنية التحتية العسكرية لحزب الله، بما فيها التكنات والصواريخ بعيدة المدى. انظر "دروس أولية من حرب إسرائيل- حزب الله"، لأنثوني كوردسمان، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، 17 آب (أغسطس) 2006،

[www.csis.org/media/isis/pubs/060817\\_isr\\_hez\\_lessons.pdf](http://www.csis.org/media/isis/pubs/060817_isr_hez_lessons.pdf).

خطاب حسن نصر الله في ذكرى "النصر الإلهي". 22 أيلول (سبتمبر) 2006، تلفزيون المنار. صرح في مقابلة له يوم 23 تموز (يوليو) على قناة الجزيرة أن حزب الله يمتلك الآن ترسانة أسلحة يمكنها أن تصل إلى أي زاوية في إسرائيل، بما فيها تل أبيب. انظر أيضا "تقرير الأمين العام حول تطبيق قرار مجلس الأمن رقم 1701 (2006)", UNSC S/2007/392، 28 حزيران (يونيو) 2007. قال رئيس دائرة الأمن السياسي في وزارة الدفاع، عموص جيلاد، للإذاعة الإسرائيلية أن سوريا لا تزال نقطة عبور للأسلحة والأموال الإيرانية لحزب الله. "تسمح سوريا للإيرانيين ولنفسها بتسليح حزب الله بطريقة ضخمة"، هارترز، 30 حزيران (يونيو) 2006. أكبر عملية ضبط للأسلحة حدثت في 8 شباط (فبراير) 2007، عندما أقر حزب الله أنه يمتلك شاحنة مملئة بالذخيرة تم اعتراض سبيلها في أحد ضواحي بيروت الشرقية. قال مسؤول أمن لاحقاً أنه تم الكشف عن 20 صاروخ جراد و 20 قاذف صواريخ مخبأة في أكياس قش، الأسوشيتد برس، 8 شباط (فبراير) 2007.

مقابلة كرايسز جروب، ثيمور جوسكل، متحدث سابق بإسم UNIFIL، بيروت، 16 آب (أغسطس) 2007. وأكد مسؤولا من اليونيفيل أنه بإمكان قوات الأمم المتحدة التحرك من دون معيقات في منطقة انتشارها، بما فيها المقرات السابقة لحزب الله. مقابلة كرايسز جروب، جنوب لبنان، تموز (يوليو) 2007. وبالنسبة لنيكو لاس بلانديفورد، مراقب حسن الاطلاع لحزب الله، "أجبر الخلاف المقاومة الإسلامية على تعريض ست سنوات من الاستعدادات العسكرية، بما في ذلك شبكات مواقع إطلاق النار الواقعة تحت الأرض، المتقنة والمحمكة أكثر مما كان معتقدا". "يستعد حزب الله للحرب"،

المجندين الجدد الذين يجري تدريبهم، ذو غالبية شيعية، ولكن هناك أيضا الدروز والسنة والمسيحيين<sup>P(TI24T)</sup>. ولا يزال الغرض من هذا التجنيد والتدريب مثيرا للجدل.

ويقول حزب الله أن الهدف هو توسيع نطاق المقاومة إلى مقاتلين من "خارج الطوائف الدينية"<sup>P(TI25T)</sup>. أما بالنسبة لمعارضيه، فهم مقتنعون أنه لا علاقة لذلك بالنضال ضد إسرائيل بل يجري تحسبا لحرب أهلية. ويشيرون على وجه الخصوص إلى حقيقة أنه يتم تسليح وتدريب أتباع عون، فضلا عن أتباع وهاب (وهو درزي) وأسامة سعد (وهو سني)، وأنه "من الصعب إقناع الكثير من اللبنانيين أن هذا يجري بالنظر إلى قتال إسرائيل"<sup>P(TI26T)</sup>.

وبذلك، يحمل إغلاق جبهة الجنوب أثارا كبيرة بالنسبة لحزب الله. على وجه الخصوص، يعني هذا أنه يجب على الحركة متابعة الأهداف خصوصا من خلال التركيز على السياسة الداخلية للبنان.

#### ب. التركيز على السياسات الداخلية

غالبا ما تدور المناقشات بشأن مستقبل الحركة حول ما إذا كانت ستصبح حزبا في نهاية المطاف كغيرها، وتشارك في اللعبة السياسية في لبنان وتتخلى عن وضعها المسلح. ويعتقد البعض أن عملية التسوية تحت الإعداد، مشيرين إلى قرارها بالمشاركة في الانتخابات البرلمانية في أوائل التسعينات وفي الحكومة في عام 2005. كما يمكن النظر إلى دعوة الحركة الأخيرة إلى حكومة وحدة وطنية باعتبارها خطوة في اتجاه "اللبننة" التدريجية.

هناك فهم خاطيء للانقسام الموجود بين السياسة والمقاومة. بعيدا عن كونه بديلا للمقاومة المسلحة، فقد أصبحت المشاركة السياسية لحزب الله نتيجة طبيعية ضرورية. وبالنظر إلى سرعة تحول المناطق الداخلية والخارجية، تعتقد الحركة الشيعية أن المشاركة السياسية الأكثر عمقا هي أفضل طريقة لحماية وضعها المسلح<sup>P(TI27T)</sup>. وكما قال نائب رئيس مركز البحوث التابع لحزب، "من المفارقات أن البعض يريد منا الانخراط في العملية السياسية من أجل محايدتنا. في الواقع، نعتزم على التورط،

ولقد فشلت لعدة أسباب، بما فيها معارضة دمشق (زاعمين أن هناك تخوفا من احتمال أن تنقلب الأسلحة التي يزود بها السنة ضدهم. مقابلة كرايسز جروب، أبو علي، زعيم عسكري سابق من "المرابطون"، حركة مسلحة ناصرية، بيروت، 28 نيسان (أبريل) 2007)، وشعور غير الشيعية بأنه تتم معاملتهم كمقاتلين من الدرجة الثانية.

<sup>P(TI24T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، محمود قماطي، نائب رئيس المجلس السياسي لحزب الله، بيروت، 19 أيلول (سبتمبر) 2007.  
<sup>P(TI25T)</sup> نفس المصدر. يقول أمين حوثيت، خبير عسكري، أن هذه طريقة لحزب الله لجذب مقاتلي أمل المستائين من حزبهم. مقابلة هاتفية لـ كرايسز جروب، أمين حوثيت، جنرال سابق في الجيش له علاقات وثيقة مع المعارضة، بيروت، 22 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(TI26T)</sup> اتصال بالبريد الإلكتروني لـ كرايسز جروب، محلل لبناني، تشرين أول (أكتوبر) 2007. امتد تسليح الميليشيات إلى جماعات عديدة أخرى، مسيحية تحديدا، وهذا مصدر قلق كبير. انظر *The New York Times*، 6 تشرين أول (أكتوبر) 2007.

<sup>P(TI27T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، محمود عوماتي، نائب رئيس المجلس السياسي لحزب الله، 11 تشرين أول (أكتوبر) 2006.

تيمور جوكسيل، الناطق السابق لليونيفيل: "تعتبر قوات الأمم المتحدة (اليونيفيل) والجيش اللبناني في الجنوب خطوطا دفاعية"<sup>P(TI18T)</sup>.

كما دفع وجود قوات الأمم المتحدة حزب الله إلى تعزيز موقفه حول خط الدفاع الثاني، إلى الشمال من نهر الليطاني وفي الشرق وفي البقاع<sup>P(TI19T)</sup>. وقال مراقب لحزب الله حسن الاطلاع:

على أرض الواقع، يقوم حزب الله بتأسيس خط جديد للدفاع إلى الشمال من نهر الليطاني، الذي يمثل الحد الشمالي لمنطقة عمليات قوات الأمم المتحدة (اليونيفيل). اتسعت المقاومة الإسلامية وزادت عدد المواقع في الجبال بين نهر الليطاني وقرية كفر حونة وعزلت الوديان والقمم الجبلية عن الغرباء. يجري بناء مرافق جديدة لتخزين الأسلحة في جنوب سهل البقاع وفي المنطقة المحيطة بالنبطية. كما كُثف التدريب في عشرات المعسكرات الواقعة في المناطق التي يسكنها الشيعة على طول جانبي سهل البقاع الشرقي والغربي<sup>P(TI20T)</sup>.

ينبغي أن يفهم خطاب نصر الله في 3 آب (أغسطس) 2007، الذي بعث فيه تحية خاصة إلى شعب البقاع، في هذا السياق. "إن منطقة بعلبك الهرمل تحديدا والبقاع بشكل عام ليست قاعدة حراسة. إنها خط أمامي على غرار المناطق الواقعة جنوب وشمال نهر الليطاني"<sup>P(TI21T)</sup>.

ومن بين الدروس الأخرى المستفادة من الحرب، تنبه حزب الله إلى الحاجة إلى تخفيف حدة تفوق سلاح الجو الإسرائيلي، الذي يتضح من خلال عمليات الاستطلاع الجوي والطائرات بدون طيار والوسائل الأخرى للكشف عن التحركات على الأرض، وإلى زيادة عدد المقاتلين المسلحين لمقاومة أي توغل داخل الأراضي اللبنانية. وتفيد التقارير حصول حزب الله على أسلحة مضادة للطائرات روسية وصينية أكثر تطورا وكذلك إرسال بعض أفرادها إلى إيران للتدريب<sup>P(TI22T)</sup>. وفي الوقت نفسه، يقوم حزب الله بتجنيد مقاتلين لمساعدة مناضليه النخبة والمهنيين، بما في ذلك من صفوف غير الشيعة الذين دعموه خلال الحرب<sup>P(TI23T)</sup>. ويذكر محمود قماطي "أن مئات بل آلاف"

<sup>P(TI18T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، تيمور جوكسيل، بيروت، 16 آب (أغسطس) 2007.

<sup>P(TI19T)</sup> هذا لا يعني أن المقاومة قد تنازلت عن الجنوب؛ يكثر المتعاطفون مع حزب الله والمقاتلون، وكثير منهم مسلحون، ووفقا لضابط من اليونيفيل، توجد أسلحة خفيفة في المناطق المدنية استعدادا للحرب، مقابلة كرايسز جروب، جنوب لبنان، تموز (يوليو) 2007؛ مقابلة كرايسز جروب، تيمور جوكسيل، بيروت، 16 آب (أغسطس) 2007.

<sup>P(TI20T)</sup> بلانفورد، أعمال مذكورة.

<sup>P(TI21T)</sup> المنار، 3 آب (أغسطس) 2007.  
<sup>P(TI22T)</sup> انظر *السياسة*، صحيفة كويتية تنتقد في الغالب سوريا، 18 نيسان (أبريل) 2007. وفقا للتقرير، أرسلت أول دفعة مكونة من 500 مقاتل إلى إيران وأنهت تدريبها في 16 نيسان (أبريل). ويقال أنهم قد عادوا إلى لبنان عبر مطار دمشق.

<sup>P(TI23T)</sup> جرت محاولة شبيهة لتشكيل جماعات منظمة يشرف عليها حزب الله، وإن لم تكن تنتمي إليه، تعرف بـ *سرايا المقاومة*، في أواخر التسعينات.

في حينه أن "انسحاب سوريا من لبنان أوجد فراغا في الساحة السياسية في البلاد... وتحاول القوى الدولية الاستفادة من هذا الفراغ وفرض الوصاية على لبنان" P(T133T). وردد الرأي ذاته علي فياض، رئيس مركز دراسات تابع لحزب الله:

خلال عقدين من المقاومة، اقترب حزب الله من السلطة السياسية بطهارة ونقاء نضالي لم يؤد إلى استبعاد السعي نحو السلطة فحسب، بل أدى أيضا إلى اعتبار الوصول إلى السلطة أمر يتعارض مع منطق ومتطلبات المقاومة. أجبرت التحولات العميقة في التوازن السياسي اللبناني بعد انسحاب القوات السورية حزب الله على اتخاذ خطوة مفاجئة للانضمام إلى الحكومة. انسحاب سوريا غير الحجم النسبي لمختلف القوات وأظهر بعض من الخيارات الرئيسية في سياسات الدولة وكشف موقف لبنان الضعيف في المعادلة الإقليمية P(T134T).

بوصفه عضوا في مجلس الوزراء، أصر حزب الله أن يقر برنامج الحكومة بحقوق المقاومة P(T135T). برز مطلب حكومة وحدة وطنية بعد حرب تموز (يوليو) 2006، والتي تحصل فيها المعارضة الحالية على أقلية معطلة، من منطق مماثل. كان هذا رد حزب الله على الانتقادات ضد عمله العسكري من جانب واحد والضغط عليه لنزع السلاح مقرونا بمحاولة لوقف انزلاق الحكومة نحو موقف شديد الموالاة لأمريكا والسعودية P(T136T). وصرح حزب الله أن دعوته كان لها ما يبررها وهو النصر العسكري P(T137T)، وأنه يطمح أن يكون في وضع يسمح له بعرقلة أي قرار يهدد المقاومة ومصالحها الاستراتيجية. قال نبيل قاووق، قائد الحركة في الجنوب:

خلال الحرب، كنا على أتم استعداد لقبول أي شيء لضمان وحدة لبنان في كفاحها ضد إسرائيل. ثم في أعقاب الحرب مباشرة، كنا نتأمل أن يقوم المعارضون السياسيون بالاتحاد وتقييم الوضع الجديد. ولكن، عندما انتهت الحرب، استمروا في الهجوم السياسي علينا. فقررنا أنه قد أن الأوان لوضع حد لهذا. ولذلك، نحن

ولكن، على وجه التحديد من أجل حماية الخيار الاستراتيجي بالمقاومة والمشاركة السياسية P(T128T). لا تزال المقاومة أولوية حزب الله وسبب وجوده ووسيلة لتحرير الأرض اللبنانية وتوحيد صفوف العرب والمسلمين وحمايه لبنان من محاولات إعادة تشكيل هويته السياسية ليصبح أكثر موالاة للغرب P(T129T)، ولكن أيضا، وبصورة متزايدة، إحباط محاولات واشنطن الرامية إلى الهيمنة على المنطقة. يعتمد حزب الله في هذا النضال ضد نظام إقليمي بقيادة الولايات المتحدة على دعم كل من إيران وسورية وغيرهما في تشكيل جبهة الممانعة.

## 1. حماية المقاومة

وخلافا لأمل، لا ينظر حزب الله إلى السياسة كغاية في حد ذاتها ولم يجعل تمثيل الشيعة من ضمن أولوياته. وحسبا بين خبير في شؤون حزب الله، " لدى حزب الله أولويتان فقط هما: القضية الفلسطينية والمقاومة ضد مشاريع الولايات المتحدة في المنطقة. وتعتبر جميع الأهداف الأخرى ثانوية، بما فيها تمكين الشيعة" P(T130T). وبالمثل، قال شيخ متعاطف مع حزب الله، "إن ما يهم حزب الله هو ثقافة المقاومة لديه. لم يناد حزب الله أبدا بحضور قوي على المشهد السياسي المحلي إلا من أجل تخصيص الخدمات على مستوى البلديات. لذلك، نادرا ما قدرت الحركة أعضاء حزب الله في البرلمان" P(T131T).

ويترتب على ذلك أنه كان يتم دائما تقييم علاقة الحركة بالنسبة إلى الدولة المركزية من حيث أثرها على المقاومة. في البداية، توجهت بعيدا عن المشاركة المباشرة في اللعبة السياسية الداخلية، معتبرة أنه سيتم إفسادها وجرها نحو علاقات طائفية بين راعي وتابع ومصادرة مركزها الخاص. تطورت الحركة تدريجيا معتبرة دائما أن السياسة نشاط سلبي في الأساس، مصمم لإعاقة الأجدات المعادية وليس لتعزيز جدول أعمال محدد. ومن خلال خطوات مختلفة، تكيفت مع الوضع السياسي المتحول في لبنان مع التركيز في اتجاه حماية أسلحتها ومركزها الخاص. وهكذا، في أعقاب اتفاق الطائف لعام 1989، الذي دعا من بين بنود أخرى إلى حل الميليشيات المسلحة، شارك حزب الله في الانتخابات التشريعية في عام 1992 من أجل حماية سلاحه P(T132T)، مطلقا على مجموعته البرلمانية اسم "كتلة الوفاء للمقاومة"، وهو الاسم الذي لا تزال تحمله حتى يومنا هذا.

في عام 2005، في أعقاب الانسحاب العسكري السوري وصدور القرار 1559 والذي، مرة أخرى، دعا إلى تفكيك جميع الميليشيات، وافقت الحركة للمرة الأولى على دخول الحكومة. علق نواف الموسوي، مسؤول العلاقات الخارجية في حزب الله،

P(T133T) Daily Star، 18 حزيران (يونيو) 2005.  
P(T134T) علي فياض، "حزب الله والدولة اللبنانية: توفيق استراتيجي وطنية ذات دور إقليمي"، مبادرة الإصلاح العربي، آب (أغسطس) 2006.  
P(T135T) للحصول على النص الكامل للإعلان الوزاري، انظر منكرات الحرب الإسرائيلية على لبنان (بيروت، 2006)، ص. 324. الكتاب إنتاج عمل جماعي لصحفيين من جريدة السفير.

P(T136T) "مباشرة بعد الحرب، تمت مداولة موضوع الأسلحة والمقاومة علنيا. وبعد فترة وجيزة، هدأت الأمور. ولكن، تحت ضغط الولايات المتحدة، أعادت قوات 14 آذار الموضوع إلى الواجهة". مقابلة كرايسز جروب، عبد الحميد فضل الله، نائب رئيس مركز أبحاث حزب الله، بيروت، 27 نيسان (أبريل) 2007.  
P(T137T) في مهرجان في تشرين أول (أكتوبر) 2006، وضح هاشم سيف الدين، ابن عم نصر الله وعضو بارز في مجلس الشورى لحزب الله: "عندما ينتصر أحد في المعركة، عندها يستطيع أن يطلب أي شيء. كل ما نريد ونطلب هو توسيع الحكومة من أجل الوحدة الوطنية"، مهرجان يوم القدس الذي حضرته كرايسز جروب، نبطية، 20 تشرين أول (أكتوبر) 2006.

P(T128T) مقابلة كرايسز جروب، عبد الحلیم فضل الله، بيروت، 27 نيسان (أبريل) 2007.

P(T129T) مقابلة كرايسز جروب، قاسم قصير، صحفي وخبير في شؤون حزب الله، بيروت، 7 آذار (مارس) 2007.

P(T130T) مقابلة كرايسز جروب، وليد شرارة، بيروت، 29 أيار (مايو) 2007.

P(T131T) مقابلة كرايسز جروب، شيخ موالى لحزب الله، جنوب لبنان، 23 نيسان (أبريل) 2007.

P(T132T) مقابلة كرايسز جروب، نبيل قاووق، مسؤول الجنوب في حزب الله، صور، 11 تشرين أول (أكتوبر) 2006.

وبصورة أعم، سوف يحتاج حزب الله، إذا رغب في الحفاظ على صورته بوصفه نوعاً مختلفاً من الحركات السياسية، إلى تنفيذ جدول أعمال لبناء إصلاحي على نحو حقيقي لبناء الدولة. هذا أمر كبير من المستبعد تحقيقه حيث سيعني عملياً إبعاد جميع العناصر الفاعلة حالياً والتي تسيطر على النظام اللبناني. والأهم من ذلك، من شأنه أن يضعف مصدري قوة الحزب المركزية: المقاومة (بقدر أن القوة المسلحة المستقلة تتنافى مع بناء دولة مركزية قوية) وعلاقة الحزب مع الطائفة الشيعية (بقدر أن الدولة التي يتم إصلاحها سوف تتخلص من أو على الأقل تخفف من هذه الولاءات).

## 2. احتواء النفوذ الأميركي

أشارت كرايسز جروب في تموز (يوليو) 2003 إلى أن انسحاب إسرائيل في عام 2000، عن طريق سلب أحد المبررات الرئيسية للمقاومة، قد "خلق أول معضلة استراتيجية حقيقية لحزب الله" P(T146T) على الرغم من أصداء احتلال مزارع شبعا واحتجاز إسرائيل للسجناء اللبنانيين وانتهاك إسرائيل المتواصل للسيادة اللبنانية، إلا أنها كانت أقل فعالية في تعبئة دعم وطني للمقاومة المسلحة. ونوهت كرايسز جروب، أن الحركة تتحول بشكل متزايد إلى "صراع بين الإسلاميين والقومية العربية من جهة، وهيمنة الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى" كمبرر لاستمرار وجودها بوصفها مجموعة مقاومة مسلحة P(T147T).

ومن الواضح أن هذا هو الحال الآن. فمنذ حرب عام 2006، خلص حزب الله إلى أن الصراع الرئيسي مع الولايات المتحدة وأن الهدف الأساسي هو إحباط جهودها لتغيير خريطة الشرق الأوسط. وحسب هذا الرأي، فإن الولايات المتحدة تعتبر أداة في يد إسرائيل. قال عضو سياسي في المجلس: "لا نريد الانتماء إلى مجال نفوذ أمريكا. نريد أن يكون مجالنا مقاومة مشروع أمريكا" P(T148T). المقاومة ضد إسرائيل قد اكتملت الآن، وقد يقول البعض أبطلت، من خلال الممانعة ورفض النفوذ العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي للولايات المتحدة. وبهذا الخصوص، فإن حلفاء حزب الله هم إيران وحماة وسوريا.

وعليه، بالنسبة لحزب الله، فإن هوية لبنان وموقفه من جيرانه والأطراف الفاعلة الدولية على المحك في النزاع المحلي الحالي. وبالتالي، إصراره على زيادة نفوذ الحركة السياسي ووجوده في وضع يتيح له عرقلة القرارات التي تتعارض مع نظرته للعالم (سواء كانت تتعلق بوضعه المسلح أو تشكيل قوات مسلحة وطنية أو العلاقات مع الغرب وإسرائيل أو سوريا).

في حاجة ماسة إلى حكومة وحدة وطنية يمكنها أن تضمن وتحمي ما قد أحرزته المقاومة P(T138T).

وكما يراه حزب الله، إن الأزمة السياسية هي استمرار للحرب بوسائل أخرى. ولقد عبر نصر الله عن ذلك بوضوح: "إن ما حدث منذ نهاية الحرب يعتبر امتداداً لحرب إسرائيل ضد لبنان. ومثلما قاتلنا في تموز (يوليو) وأب، سنحارب اليوم ولكن بأسلحة وقوانين أخرى" P(T139T). وصرح نواف الموسوي "تعمل الحكومة جاهدة من أجل تنفيذ ما عجزت عنه إسرائيل" P(T140T). وبعبارة أخرى، إن الهدف الرئيسي ليس لضمان المزيد من المشاركة العادلة، على الرغم من قول حزب الله أن مخيم عون يستحق تمثيلاً أفضل، ولكن لحماية أسلحة الحركة. ووضح قماطي: "لا تهمنا المشاركة السياسية. إننا نعمل ذلك من أجل إنقاذ البلاد. إنها سبيل الدفاع عن أنفسنا ضد أي قرار يمكن أن يهدد المقاومة أو يؤثر على الخيارات الاستراتيجية والسياسية الأساسية للبنان" P(T141T).

لم يطلب حزب الله أن يكون هناك وزراء من بين صفوفه، بل من صفوف حلفائه، مما يسمح له بالسيطرة على الحكومة بطريقة غير مباشرة، وفي نفس الوقت، الحفاظ على مسافة فاصلة عنها. كما لم يقدم قادة حزب الله أي توضيح فيما يتعلق بكيف سيقومون بتغيير سياسات الحكومة، باستثناء رفض مبهم لنفوذ الولايات المتحدة P(T142T). على المستوى المحلي، كانت المشاركة في الحياة السياسية على حساب تكلفة، وعلى وجه التحديد، التكلفة التي أبتت حزب الله بعيداً في المقام الأول. فقام بعقد تحالفات مع رفاق غير عاديين وانخرط في ممارسات سياسية نفعية P(T143T). بالنسبة إلى أنطوان علوف، وهو مسيحي انتخب على قائمة حزب الله في بعلبك، "لقد ثبت أن تحويل حركة عسكرية مناضلة ومنضبطة، بارعة في تخصيص الخدمات داخل مؤسساتها الخاصة إلى حركة سياسية تخدم المواطنين من خلال المؤسسات المحلية صعب" P(T144T). بالنسبة للآخرين، تتعايش جاذبية حزب الله كحركة مقاومة مع انتقادات إدارته المحلية P(T145T).

P(T138T)P مقابلة كرايسز جروب، نبيل قاوق، صور، 17 تشرين أول (أكتوبر) 2006. قال نصر الله أن قوات 14 آذار "تريد أن تبقى في السلطة، الأمر الذي يشكل مشكلة حقيقية لأنهم لا يريدون السلطة من أجل السلطة، بل لأنهم عقدوا بعض الالتزامات السياسية والاقتصادية. إذا كان لدينا ثلث معطل، فلن يكون باستطاعتهم تنفيذها". مقابلة مع الجزيرة، 12 أيلول (سبتمبر) 2006.

P(T139T)P مقابلة في تلفزيون المنار، 16 شباط (فبراير) 2006.

P(T140T)P أمل سعد غورايب، "بكلماتهم" أعمال مذكورة. ص. 6.

P(T141T)P مقابلة كرايسز جروب، محمود قماطي، بيروت، 3 شباط (فبراير) 2006.

P(T142T)P وفقاً لعللي فياض، وضعت الحركة مسودة خطة للإصلاح المؤسسي ولكنها ستنتظر حل الأزمة السياسية قبل نشرها. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 30 أيار (مايو) 2007.

P(T143T)P مقابلة كرايسز جروب، سياسيون محليون متحالفون مع حزب الله، خبراء في شؤون حزب الله، بيروت، البقاع، نيسان (أبريل) تموز (يوليو) 2007.

P(T144T)P مقابلة كرايسز جروب، أنطوان علوف، بعلبك، 23 نيسان (أبريل) 2007.

P(T145T)P مقابلات كرايسز جروب، زعماء قبائل، النبي شيت، سهل البقاع، سياسي محلي، بعلبك، نيسان (أبريل) 2007.

P(T146T)P مذكرة كرايسز جروب، ثائر بون قضية، أعمال مذكورة، ص.

7. نفس المصدر، ص. 18. P(T147T)P

P(T148T)P مقابلة كرايسز جروب، غالب أبو زينب، بيروت، 13 أيلول

(سبتمبر) 2006.

## 3. هوية حزب الله الإسلامية

يُكرّمون كشهداء جهاد، وأمثلة يجب الاحتذاء بها<sup>P(T152T)</sup>. في المناسبات الرئيسية – مثل جنازات الشهداء، ترفع أعلام الحزب بدلاً من العلم الوطني<sup>P(T153T)</sup>.

وعلى المستوى المحلي، ما زالت هنالك دلائل إضافية على توجه شيعي عميق. وعلى الرغم من أن حزب الله لم يكن المبادر في إحياء إسلامية المجتمع<sup>P(T154T)</sup>، إلا أنه قد عمّق ذلك الانتماء بوسائل مختلفة – تقديم الدعم المالي لرجال الدين، إنشاء مدارس ومؤسسات دينية، وباندفاع أقل حدة مع الزمن<sup>P(T155T)</sup> – فرض قواعد سلوك في بعض الأحياء التي تقطنها أغلبية شيعية. وبالأخص في القرى ذات الانتماء الديني الواحد، في الجنوب والبقاع. الفئة الأخيرة تشمل إكراه النساء على لبس غطاء الرأس، ومنع المناسبات الثقافية التي تعتبر مخالفة للإسلام، والفصل بين الرجال والنساء. حجم الضغوط في ذلك، تتوقف على من يمسكون بالقيادة المحلية لحزب الله؛ هنالك فروقات كبيرة

تركيز حزب الله على الساحة السياسية ومطالبته بنفوذ أقوى، قد جدد المخاوف بشأن نواياه الداخلية. أحد أهم أسباب القلق هي أن الحركة، عاجلاً أم آجلاً، سوف تعود إلى هويتها الإسلامية الأصلية، وأن تسعى إلى فرض حكم إسلامي.

الخشية ليست غير مبررة. فعلى الرغم من الادعاء بأن الهدف النهائي هو العدالة الاجتماعية وليس الحكم الديني، ما زال يتوجب على حزب الله تعديل ميثاق تأسيسه، "الكتاب المفتوح" لعام 1985، والذي يدعو، من بين ما يدعو، إلى تأسيس دولة إسلامية، ويُقدّم الحزب على أنه "حركة إسلامية جهادية"<sup>P(T149T)</sup>. ومع أنه يُقر بأن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا كنتيجة لاختيار شعبي حر، فإن عدة أوجه من سلوكه تثير الخشية. ثقافة حزب الله تتسم بطابع ديني عميق، وعلاقته بالدولة – الوطن ما زالت غامضة. وإذا وضعنا جانباً اسمه وأصوله، كنبذة من الثورة الإيرانية، فإن الحركة ما زالت تواصل التمسك بعدد من الخصائص الإسلامية. وإلى المدى الذي تعتقد فيه مبدأ "ولاية الفقيه"<sup>P(T150T)</sup>، وهو المبدأ الذي يشترط القبول به، كشرط للانضمام إلى الحزب، فإنه يعترف بسلطة المرشد الأعلى لإيران، على المستويين السياسي والديني.

وضمن المعطيات ذاتها، فإن قيادة الحزب ما زالت بشكل جوهري بقيادة رجال الدين، الذين يلعبون دوراً محورياً في تثقيف جماهير الناس، ثقافة سياسية ودينية. النشاط يُسمون بـ "أبناء محمد وعلي"<sup>P(T151T)</sup>، والذين يقتلون في الجهاد

بعد ما قيل، ومع أن المعروف بأن بعض الهجمات الانتحارية قد رُتبت من قبل حزب الله، فإن تلك الهجمات لا تُجسد ماهية حزب الله ولا تشكل دليلاً على أجندته الإسلامية. الهجمات الانتحارية في لبنان ابتدعتها منظمات علمانية؛ ووفق باحث لبناني من بين 38 هجمة تمت على يد المنظمات اللبنانية، ما بين 1982 و1999، ضد الجيش الإسرائيلي والمليشيا اللبنانية التي أقامها، 13 منها فقط كانت على يد حزب الله. انظر كندة شايب، في (Le martyr au Liban", Franck Mermier et Elisabeth Picard, *Liban: Une Guerre de 33 Jours*) ص 131. وقال مقاتل سابق في حزب الله بأن الحركة كانت تتأى عن ممارسة الهجمات الانتحارية، لأنها كانت حريصة على عدم إهدار شبابها بلا ضرورة. مقابلة كرايسز جروب، مقاتل سابق في حزب الله، النبطية، 20 تشرين أول (أكتوبر) 2006. حتى بين أعضاء حزب الله المتشددين، فإن الحافز الرئيسي كان الحافز الوطني (لتحرير الأرض)، أو الأخذ بالثأر، ولم يكن الحافز الديني. مقابلة كرايسز جروب، كندة شايب، بيروت، 30 آذار 2007.

هنالك استثناءات، وبالأخص إبان أحداث موجهة إلى جمهور أجنبي. كان ذلك خلال المظاهرات الضخمة في كانون أول 2006، حيث أمرت القيادة مناصريها رفع العلم الوطني. وعندما كانت الجماهير توشك أن تصل إلى قلب بيروت، شاهدت كرايسز جروب مقاتلي حزب الله، منتشرين على جميع المفاصل الرئيسية وهم يستبدلون أعلام حزب الله بالأعلام الوطنية على نطاق منظم.

بدأت العملية في عقدي 1940 و1950، تحت القيادة الكارزمانية لرجال الدين أمثال عبد الحسين شرف الدين ومحسن الأمين. وقد تبع ذلك في عقدي 1960 و1970، جهود موسى الصدر، ولكن أيضاً جهود محمد مهدي شمس الدين ومحمد حسين فضل الله. أحاديث كرايسز جروب مع الشيخ محمد علي الحاج والشيخ أديب حيدر، بيروت، نيسان (أبريل) – أيار (مايو) 2007. ووفق روايات عدة، فرضت أمل، بشكل خاص، قوانين صارمة في بعض المناطق تحت سيطرتها، بما في ذلك منع تناول الكحول، وتخريب المنشآت التي تُقدمها. أحاديث كرايسز جروب مواطنون في عيتا الشعب وشهور، نيسان (أبريل) – أيار (مايو) 2007. وادعى شيعي من قرية ملاصقة للحدود، بأن مؤيدي فضل الله استغلوا قمع السوريين والإسرائيليين، لتوسيع نفوذهم. "بملاحقة المتشددين اللبنانيين والفلسطينيين، فتحت إسرائيل وسوريا الباب أمام القوى الدينية والأحزاب الطائفية. فبعد أن أرغمت تلك القوى على الهرب من قراهم في منتصف 1970، جاء أنصار فضل الله وبدعوا في توسيع نفوذهم على المجتمع الشيعي". مقابلة كرايسز جروب، مع ناشط سابق من منظمة العمل الشيعية، عيتا الشعب، 25 آذار (مارس) 2007.

ما بين 1985 و1991، تحت قيادة صبحي الطفيلي، نفذ حزب الله برنامجاً إسلامياً قوياً. أحاديث كرايسز جروب مع السياسيين والطلبة، بعلمك، نيسان (أبريل) 2007.

لتحليل الكتاب المفتوح، انظر جوزيف الأغا، التحول في أيديولوجية حزب الله: أيديولوجيا دينية، أيديولوجيا سياسية، وبرنامج سياسي (The Shifts in Hizbullah's Ideology: Religious Ideology, and Political Program) (بيروت، 2006)، ص 36-37 (بالإنجليزية) على الرغم من الادعاء بأنها قد كتبت، لا يبدو أن حزب الله في سرعة من أمره، لنشر الوثيقة الجديدة، أحاديث كرايسز جروب، قادة حزب الله السياسيين، بيروت، أيلول (سبتمبر) 2007.

كتاب العام 1985 المفتوح يقول: "إننا نخطب جميع الشعوب العربية والإسلامية، لم نترك لأحد أي عذر، حيث أنها أثبتت بدون أي شك، بأن الصدور العارية مدفوعة بالإيمان قادرة بحول الله، على كسر الحديد والاضطهاد الذي تمارسه الأنظمة الاستبدادية". نقلت وترجمت في نورتن (سبق ذكره، ص 36). حزب الله ينتمي إلى مبدأ الثورة الإيرانية حول "ولاية الفقيه"، والذي يُخضع الحكومة إلى سلطة الفقيه، وإلى الشريعة الإسلامية ويشجع توجيه المرشد الأعلى لإيران. وقد وصف نعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب الله بالتفصيل سلطة القائد الأعلى على الحركة، بما في ذلك سلطاته الدينية والدنيوية، وإعطائه سلطة اتخاذ القرارات فيما يتعلق بشؤون الحرب والسلام. حزب الله، الطريقة والتجربة والمستقبل (Hizbollah, The Method, the Experience, the Future)، (بيروت 2004)، ص 74-78 (بالعربية). لتفصيلات أوفى حول نظرية "ولاية الفقيه"، انظر تقرير كرايسز جروب حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 37: "فهم الإسلاموية" (Understanding Islamism)، 2 آذار (مارس) 2005، ص 22-23؛ كذلك التقرير حول الشرق الأوسط رقم 5، بعنوان: "إيران: الصراع من أجل روح الثورة" (Iran: The Struggle for the Revolution's Soul)، 5 آب (أغسطس)، 2002. والتقرير حول الشرق الأوسط رقم 55، بعنوان: "عراق مقتدى الصدر: مخرب أم عامل استقرار؟"، (Iraq's Muqtada Al-Sadr: Spoiler or Stabiliser?)، 11 تموز (يوليو) 2006.

انظر بصورة خاصة آخر قرص مدمج CD صدر عن حزب الله حول حرب تموز (يوليو) 2006.

وبينما أن الأزمة الحالية قد ضاعفت من الاستقطاب الطائفي، وبالتالي قللت من زخم دعوتها في صفوف الطوائف الأخرى، فإن ذلك لم يُفرض بالحركة إلى تبني أجندة أكثر إسلامية. ومن المفارقات، فقد تكون قد أضافت سبباً آخر للاعتدال الديني: لأن حزب الله يعتمد اعتماداً أكبر على الطائفة الشيعية، فإن عليه التوجه نحو جميع الشيعة وتطمينهم (بما في ذلك البورجوازية المهاجرة التي يحتاج حزب الله إلى دعمها المالي، والتي لا تؤيد مواقف متطرفة أو دينية) P(T159T). وصرح شيعي، كان ناصرياً في الماضي، ويؤيد حزب الله بتحفظ قائلاً "في اليوم الذي يبدأ فيه حزب الله بطرح أسئلة مثل (لماذا ابنك لا تغطي رأسها؟ أو لماذا أنت لا تُصلي؟) سأكون أول من يعارض الحركة" P(T160T). وقد علّق نبيل قاووق بأن هذا التوجه بدأ مع انسحاب إسرائيل عام 2000. "العدو رحل، وحزب الله يزداد رؤية وحضوراً، وقد أخذ يمد يديه إلى الجماهير التي ليست بالضرورة دينية التوجه" P(T161T). وهكذا، وبينما تسود داخل الحركة، الأصول الدينية المتشددة (في المناسبات التي يقتصر حضورها على حزب الله فقط - تكون السيدات محجبات دائماً)، فإن الحركة حريصة أن تظهر أمام العالم الخارجي، وجهاً أقل تعصباً دينياً وأكثر سياسة.

كل ما تقدم لا يستبعد قابلية التوجه إلى موقف ديني أكثر راديكالية، بيد أن ذلك رهن باصطفاف أشد كثيراً على الساحة المحلية. وفي نهاية المطاف، فإن القيود السياسية، والأولويات التي وضعها حزب الله لنفسه - بدلاً من أية تحولات دينية - هي الحماية الأفضل ضد الانجراف الديني المتطرف. النتيجة هي موقف غامض نوعاً ما، يُغذي ويشرح الخوف من احتمال وجود أجندة خفية: روح إسلامية عميقة على المستوى المحلي يُرافقها حرص دقيق على تجنب برنامج ديني على الساحة الوطنية P(T162T).

وسلوحيات متناقضة، وهناك دلائل بأن المواقف المتشددة، كثيراً ما تتم دون موافقة القيادة المركزية P(T156T).

بعد ما تقدم، فإن توجه حزب الله الاستراتيجي يستبعد، كما يبدو، محاولة فرض حكم إسلامي. وكما يتبين، فإن اهتمام الحركة في الشؤون السياسية الداخلية، لا ينبع بالدرجة الأولى من أجندة داخلية، سواء إصلاح المؤسسات أو فرض تصور الحركة الديني. هدفها المعلن هو حماية لبنان مما تعتبرها تدخلات خارجية خطيرة. الادعاء، بطبيعة الحال، موضع مساعلة وتشكك: حزب الله، كما هو متوقع، يُدين الولايات المتحدة، ولكنه لا يُدين التدخل السوري، ويُعرب عن قلق أعظم بكثير تجاه الأسرى المحتجزين لدى إسرائيل من أولئك الذين تحتجزهم سوريا. ولكن النقطة المهمة هنا، هي أن أولويات حزب الله كما يعلنها بنفسه، ليس لها أقل اتصال بأجندة إسلامية، ناهيك عن شيعية للبنان.

وأكثر أهمية من ذلك، أن حزب الله يعي جيداً أن أي فرض للحكم الإسلامي بالإكراه، سوف يُثير في الحال، اصطدامات شديدة بين الطوائف، فتنة من شأنها تلطيخ سمعة الحركة تلطيخاً مميّزاً، وتتهي أي ادعاء لديها بتمثيل عربي وإسلامي عريض، ويقفصها إلى مجرد حزب شيعي. هذا يُفسر محاولاتها التوجه نحو الطوائف الدينية الأخرى (وبالأخص، عن طريق تعديل سلوكياتها، وفيها لأية أهداف دينية بعيدة) P(T157T)، ومحاولاتها تجنب العنف الداخلي. وكما يمكن أن نرى، فقد لعبت الحركة دوراً يدعو إلى الاعتدال في صفوف المعارضة. منذ بداية الأزمة السياسية، رفضت إزاحة رئيس الوزراء بالقوة، مُعللة ذلك بأن "اللعبة اللبنانية لا تسمح بمثل ذلك السلوك. إنها تقود حتماً، إلى قيام جبهة موحدة تضم جميع الطوائف، للعمل ضدنا. وأنها تقود إلى حرب أهلية" P(T158T).

P(T156T)P في بعض القرى التي يسيطر عليها حزب الله، شاهدت كرايسز جروب غالبية النساء غير محجبات؛ في قرى أخرى، مثل تلك النسوة واجهن النبذ أو ما هو أسوأ. مثل هذا الضغط أقل شدة في ضواحي بيروت الشرقية؛ عدد النسوة غير المحجبات اللواتي يحضرن اجتماعات نصر الله الحاشدة، أعلى بشكل مُلفت. ولكن حتى هنالك، قال السكان لكرايسز جروب يفرض عزل بين الجنسين بالقوة في المراكز الرياضية، وكذلك محاولات واسعة من قبل متشدد حزب الله لفرض أنظمتهم السلوكية. مقابلات كرايسز جروب، أحياء بيروت الجنوبية، آذار (مارس)، نيسان (أبريل) 2007. وفي أمكنة أخرى، عطل ناشطوا حزب الله مناسبات مثل مناسبة "الزحل" (وهي منافسة شعرية مرتجلة). حديث كرايسز جروب، باحث في شؤون الطائفة الشيعية، بيروت، كانون ثاني (يناير) 2007.

P(T157T)P مستلهماً الضرورات السياسية، فقد خرج نصر الله عن الأنظمة الشيعية، عندما سمح لإمام سني بأن يؤم المصلين، في المظاهرة الكبرى التي جرت في 8 كانون أول 2006، التي جمعت الشيعة والسنة من أتباع فتحي يكن. ومثل تلك التنازلات باسم الضرورات السياسية تمت خلال الحرب. وظل تفرزيون حزب الله "المنار" يردد أغنية عبد الحليم حافظ "خلّي السلاح صاحي"، على الرغم من أن الحركة بشكل عام تُحرم مثل هذه الموسيقى. في هذه المناسبة وُجد بأن من المفيد مخاطبة جمهور عربي أوسع، باستخدام منتجات ثقافية تجد صدى في نفوسهم. مقابلة كرايسز جروب مع نبيل قاووق، زعيم حزب الله في الجنوب اللبناني، صور، 17 تشرين أول (أكتوبر) 2006. وبشكل عام، أثبت حزب الله براجماتيته في فرض الشعائر الإسلامية: أكثر تشدداً حيث الأغلبية شيعية، وأقل من ذلك حيث السكان من الطائفتين الشيعة والسنة. مقابلات كرايسز جروب، قرى في الجنوب وفي وادي البقاع، منتصف 2007.

P(T158T)P مقابلة كرايسز جروب، مسؤول في حزب الله، بيروت، 14 حزيران (يونيو) 2007.

P(T159T)P مقابلة كرايسز جروب مع نبيل قنديل، عضو مجلس نواب سابق،

شيعي من مؤيدي سوريا، بيروت، 14 أيار (مايو) 2007.

P(T160T)P مقابلة كرايسز جروب مع أبو علي، القائد العسكري السابق

للمرابطين، بيروت، 29 نيسان، 2007.

P(T161T)P حديث كرايسز جروب مع نبيل قاووق، صور، 17 تشرين أول

(أكتوبر) 2006.

P(T162T)P كتب نورتن "النتيجة هي أن المتشككين والمعارضين للحزب قد

تركوا وفي ذهنهم صورة مترددة مُحيرة، وربما مُحبطة، والتي زاد من حدتها سلوك حزب الله في أوائل القرن الحادي والعشرين. ذكر سابقاً ص46.

## 4. حزب الله "ومحور الشر الجديد"

وُلد في أعقاب الثورة الإيرانية، ومعتقاً علانية مبادئها العقائدية، الجوهريّة، ومعتداً إلى حد كبير على المساعدات الإيرانية، وتمتعاً بشراكة استراتيجية مع سوريا، كان حزب الله منذ البداية، جزءاً من وضع إقليمي معقد. ومع ذلك، وبدلاً من أن تكون العلاقة علاقة التابع للسيد، فإن العلاقات مع إيران وسوريا معقدة، وغامضة ومُتغيرة.

## أ. استقلال نسبي مع خطوط حمراء

جاء حزب الله إلى الوجود ما بين 1982 و1985، وكلاهما نتيجة لغزو إسرائيل لجنوب لبنان عام 1982، وامتداد لثورة إيران لعام 1979. وفي الحقيقة، وفي بدايتها، كانت الحركة إلى حد كبير أحد إفرازات تلك الثورة<sup>P(T163T)</sup>، وقيل إن بضعة آلاف من حرس الثورة الإيرانية أرسلوا إلى سهل البقاع، للمساعدة في تدريب المتشددين. من الناحية الأيديولوجية، إيران كانت في خضم مرحلتها الثورية، تدفعها رغبة في تصدير أنموذجها، وتمسكة بتصوير بعيد المدى حول ولاية الفقيه، والتي تقرض ولاءً تاماً "ولاية مطلقة للمرشد الأعلى للثورة الإيرانية آية الله الخميني"<sup>P(T164T)</sup>. في تلك السنوات المبكرة، وفق صبحي الطفيلي أول أمين عام للحركة ما بين 1989 و1991، كان لإيران كلمة مسموعة في جميع قرارات حزب الله المهمة<sup>P(T165T)</sup>.

وفاة آية الله الخميني عام 1989، أحدثت تحركاً كسب حزب الله من خلاله بعض الاستقلال عن طهران. كانت طبيعة العلاقة في حالة تغير، حيث أن النظام الإيراني نفسه كان في مرحلة تحول؛ أصبح هدف طهران الحفاظ على علاقات سياسية مشددة أكثر منه تصدير نموذج ثورتها. في نظر الشيخ يوسف سببتي، رئيس مدرسة دينية ومقرّب من حزب الله أصبحت الآن "العلاقة سياسية، ولم تعد جذورها ترتبط بالنظرية الدينية لـ(ولاية الفقيه)"<sup>P(T166T)</sup> استقلال حزب الله نسبي؛ إنه ما زال يعتمد اعتماداً عسكرياً ومالياً كبيراً على إيران، وعلى التدريب والدعم بشكل عام. قيادته أيضاً تشعر شعوراً عميقاً بالولاء إلى الثورة الإيرانية، والتي تعتبر حمايتها أولوية. ولكن طهران لم تعد ممعنة في التدخل، مثلما كانت في وقت من الأوقات.

على مر الزمن سعى حزب الله إلى تطوير مصادر مستقلة للتمويل، والذي سمح له بتكوين شبكة اجتماعية مؤثرة لصالح الطائفة الشيعية (بما في ذلك المؤسسات الخيرية، والمدارس والمستشفيات، وعلاوات تدفع لأسر الشهداء). قرار المرشد الأعلى الحالي، خامنئي، بتفويض بعض سلطاته، مكن حزب الله من فرض ضريبة الزكاة (الخمس)، والتي تبلغ 20 بالمائة من

<sup>P(T163T)P</sup> قاسم قاصر، صحفي وخبير في شؤون حزب الله، يقول بأن حزب الله كان مرتبطاً عضوياً بالثورة الإيرانية.

<sup>P(T164T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع محمود قماطي، بيروت، 3 شباط (فبراير) 2007.

<sup>P(T165T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع صبحي الطفيلي، بعلبك، 5 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T166T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع يوسف صبيتي، كفره، 27 نيسان (أبريل) 2007.

دخل الفرد السنوي، والتي يتوجب دفعها إلى الزعيم الديني (مرجع التقليد)<sup>P(T167T)</sup>. هذا يشمل المبالغ التي تدفعها الجاليات الشيعية في المنفى، والتي هي نسبياً أكثر رخاءاً من الشعب المحلي<sup>P(T168T)</sup>. يضاف إلى ذلك التبرعات الاختيارية، والتي كانت في أعقاب حرب 2006 عالية جداً، وجاءت معظمها من المغتربين الشيعية، اللبنانيين وغير اللبنانيين<sup>P(T169T)</sup>. حزب الله يطلب التبرعات أيضاً، في مناسبات خاصة، ويشجع التمويل الذاتي بين أعضائه؛ مركز المستشفى الكبير في الضاحية الجنوبية من بيروت (الرسول الأعظم)، على سبيل المثال، يُغطي نفقاته، وفق ما ذكر، من موارد الذاتية. ومع ذلك، فإن تدفق المال الإيراني ما زال مهم جداً. على سبيل المثال، إعادة بناء المناطق الشيعية التي دُمرت خلال حرب 2006، والتعويضات للمدنيين كانت جميعها تقريباً إسهاماً إيرانياً<sup>P(T170T)</sup>.

العلاقات مع سوريا تطورت أيضاً، وفي هذه الحالة، كانت نتيجة للعلاقات المتغيرة بين دمشق وطهران وبيروت. في عام 1995، عندما وافق المجتمع الدولي على تحويل لبنان – وهو خارج من حرب أهلية وحشية استمرت خمسة عشر عاماً – إلى شبه محمية سورية، اضطر حزب الله إلى التأقلم. سوريا اعتبرت الحركة كورقة مساومة تستخدمها في المفاوضات التي تعقد ثم تُعلق مع إسرائيل. كان نفوذ دمشق على حزب الله في أوجه، مع سيطرة دقيقة على عملياته العسكرية والتدخل المتواصل في القرارات السياسية. ونتيجة لقلق سوريا من أن يحرز أي فريق لبناني قوة زائدة، فقد عمدت سوريا إلى ضرب الحركات الشيعية بعضها ببعض، وضغطت على حزب الله لكي يتنازل عن مقاعد برلمانية لصالح أمل، وقدمت الدعم للشيخ طفيلي بعد أن وضع الخلاف بينه وبين الحركة. في عام 1993، قام الجيش اللبناني والدرك – وكانا تحت السيطرة السورية، بقمع مظاهرة بالقوة، قادهما حزب الله احتجاجاً على اتفاقيات أوسلو، قتل فيها ثلاثة عشر شخصاً وجرح العشرات<sup>P(T171T)</sup>.

انسحاب سوريا العسكري من لبنان عام 2005، ونهاية سيطرتها السياسية المباشرة، فتح فصلاً جديداً في العلاقات. ومع أن حزب الله يعتمد بشكل واضح على سوريا، كطريق ترانزيت وحيد لتمير الأسلحة الإيرانية فقد وسّعت الحركة من هامش مناورتها. سياسياً، تتصرف باستقلالية أكبر، كما ظهر من الصفقة الانتخابية التي عقدتها عام 2005، مع تحالف 14 آذار، شديد المعاداة لسوريا، وما تبع ذلك من توافق مع ميشيل عون<sup>P(T172T)</sup> نهاية

<sup>P(T167T)P</sup> حتى عام 1995، كانت الضريبة تعطى إلى المرشد الأعلى في إيران؛ الآن تعطى لممثليه اللبنانيين، حسن نصر الله ومحمد يزبك، انظر جوزيف الأغا، ذكر سابقاً، ص286.

<sup>P(T168T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب، عبد الحلیم فضل الله، بيروت 27 نيسان (أبريل) 2007.

<sup>P(T169T)P</sup> مقابلة كرايسز جروب مع ناصر قنديل، نائب سابق مؤيد لسوريا، بيروت 14 أيار (مايو) 2007.

<sup>P(T170T)P</sup> رسمياً، قال حزب الله بأنه قدم 380 مليون دولار، مساعدات لإعادة التعمير والتعويضات المالية للعائلات ضحايا الهجمات الإسرائيلية.

مقابلة كرايسز جروب مع عبد الحلیم فضل الله، 23 أيلول (سبتمبر) 2007. جوزيف الأغا، ذكر سابقاً، ص286.

<sup>P(T172T)P</sup> سوريا كانت في البداية متشككة تجاه التحالف مع عون. "عودته إلى لبنان كانت بمثابة صدمة للسوريين. الخطاب الذي ألقاه لدى وصوله المطار، والذي قلب فيه صفحة بالنسبة لمواقفه البالغة التشدد تجاه سوريا عندما قال بأن لبنان الآن سيد نفسه وأن الزمن قد تغير، قد أعطى بعض



العراقيون، وحزب الله وحتى سوريا، تعتبر من قبل البعض كأعضاء رئيسيين في ائتلاف، يستند جزئياً، على الأقل، على رابطة طائفية مشتركة.

الحقيقة هي أكثر دقة بكثير. سوريا تحكم من قبل أقليتها العلوية، وهي عقيدة وثقافة تربطها أقل الروابط مع الشيعة. يتجه الشيعة إلى اعتبار أعضائها كفاراً؛ والقلة من النخبة السياسية العلوية تمارس الطقوس الدينية؛ ومعظمهم لهم توجهات علمانية وعصرية تجاه الحياة. معارضوا النظام يصفون الطائفة بالشيعة، لأنهم يعتقدون بأن ذلك يُشكل إهانة فعالة، وليس لأن الوصف صحيح.

كذلك، فإن العلاقات الإيرانية - السورية المنعقدة، قد أدت إلى تقارير مختلفة الأشكال، حول ما يطلق عليه بـ "تشيع" سوريا. بعض تلك التقارير صحيحة وإن تكن تنطوي على المبالغة (انغمست إيران بتبشير نشط، ولكنه موجه نحو السوريين الفقراء، وانتشاره أقل كثيراً جداً مما دُكر)؛ الكثير من تلك التقارير اختلاقات تامة. (النظام السوري لم يُرْفَع الذين اعتنقوا مؤخراً المذهب الشيعي، إلى مراكز مسؤولة، في أجهزة الأمن) P(T177T). وإذا كان من شيء، فإن النظام أخذ يسمح بممارسات دينية سنية متكررة، من أجل دعم مشروعية النظام أمام الجماهير التي أخذت تتقبل بشكل متزايد الطروحات الإسلامية P(T178T). صحيح، أنه في أعقاب الحرب في لبنان مباشرة، أبرز النظام تحالفه مع حزب الله وملاً الجدران العامة بصورة لبشار الأسد، إلى جانب حسن نصر الله والرئيس أحمددي نجاد. ومع ذلك، وحيث هبطت شعبية حزب الله في سوريا، ضحية الاصطفاف الطائفي المتصاعد على امتداد المنطقة، فقد جاء هذا أيضاً إلى نهاية سريعة ومفاجئة نسبياً P(T179T).

تُظهر إيران حالياً علامات ضئيلة على السعي للسيطرة على الطائفة الشيعية في لبنان كمجموعة، مفضلة التركيز على بناء الروابط السياسية - الأيديولوجية مع حزب الله. وهذا بعيد كل البعد عن السنوات الماضية، عندما كانت طهران تتدخل في المشهد الديني المحلي.

العلاقة الثلاثية الأضلاع ليست خالية من التوترات. الأحاديث مع أعضاء حزب الله، تكشف النقاب عن شكوك عميقة ومستدامة مع

وصايتها على لبنان، أضعف حرية العمل لدى سوريا، بينما في الوقت ذاته، دفعت بحزب الله إلى لعب دور داخلي مختلف لحماية مصالحه. في هذه الأمور وغيرها، تصرفت الحركة بطرق تختلف عن تلك التي كان ينتهجها حلفاء سوريا التقليديون في لبنان، وأكثر قبولاً، على سبيل المثال، بتشجيع عدم الاستقرار والفوضى في لبنان P(T173T). علو شأن حزب الله في العالمين العربي والإسلامي، ساعد أيضاً في تحصين مركزه. ووفق أكرم طليس، عضو سابق في حزب الله، ومستشار حالياً لحركة أمل "منذ انسحاب سوريا من لبنان، فإنها تتدخل مع حزب الله فقط، عندما تكون مصالحها الحيوية على المحك. إنها لم تعد تتدخل في الشؤون اليومية" P(T174T).

ومع ذلك، فإن من الخطأ اعتبار استقلالية حزب الله المتوسعة، بكونها تمثل نهاية لـ أو أزمة في تحالف حزب الله مع إيران وسوريا. كما لا يجب أن تقرأ، كما اقترح بعض المراقبين، كتحول في علاقات القوة مع سوريا، بحيث أصبح للحركة الشيعية الآن اليد العليا. إنها بدلاً من ذلك، المناسبة لإعادة توزيع القوة، وإعادة تحديد الأدوار، في علاقة معقدة، برجماتية ثلاثية الأبعاد تنتم بالمرونة، وتعاد صياغتها باستمرار، ومع ذلك تظل قوية راسخة بشكل مُلفت P(T175T).

### ب. طبيعة التحالفات مع سوريا وإيران

وصف التحالف الإيراني/ السوري/ وحزب الله، كثيراً ما يأخذ منحى المبالغة والسخرية. نبدأ بالقول بأنها ليست مسألة دينية، وليست تعبيراً عن محور شيعي متعاطف متشدد. لقد كسب هذا الوصف بروزاً خاصاً بعد حرب لبنان عام 2006، ومن خلال مكاسب الشيعة في العراق P(T176T). إيران، وحلفاءها

التظمن إلى سوريا. ولكن ما زال يُنظر إليه كورقة طائشة. ولم يكن قد أعطي أي ذكر في الصحافة السورية الرسمية إلا، بعد أن أثبت تحالفه مع حزب الله، خلال الاشتباكات في أوائل 2007، وحتى الآن، فإنه غائب بشكل مُلفت بالمقارنة مع شخصيات مؤيدة لسوريا مثل ونّام وهاب. إن جميع الزيارات اللبنانية إلى دمشق إما تنشر بشكل رسمي، أو تُسرّب إلى الصحف، ويبدو أن عون لم يرسل أحداً أبداً إلى سوريا. مقابلة كرايسز جروب مع صحفي سوري، دمشق، أيلول (سبتمبر) 2007.

بعد خطاب بشار الملتهب في 15 آب (أغسطس) 2006، والذي يتهم فيه حكومة السنيرة بأنها "إنتاج إسرائيلي"، سارعت الأحزاب المتحالفة مع سوريا (تيار الوحدة اللبناني، الحزب الديموقراطي اللبناني، الحزب القومي السوري) في الحال إلى تأييد الخطاب وهاجمت رئيس الوزراء السنيرة. وعلى النقيض من ذلك، حزب الله بداية، تصرف بضبط نفس شديد. P(T174T)P مقابلة كرايسز جروب مع أكرم طليس، بيروت، 3 أيار (مايو) 2007.

لاحظ أحد المراقبين العرب، بأن العلاقة السورية الإيرانية هي "أكثر العلاقات استقراراً في الشرق الأوسط، خلال ربع القرن الماضي". مقابلة كرايسز جروب، آب (أغسطس) 2007. ومع أنها من فترة أحدث نسبياً، يمكن أن ينطبق القول بمعظمه على العلاقة بين الدولتين وبين حزب الله. P(T175T)P

كان الملك عبد الله بن الحسين أول من أثار فكرة الهلال الشيعي، الذي يمتد من إيران إلى لبنان، في حديث بتاريخ 8 كانون أول (ديسمبر) 2004 مع الوائسطن بوست. لقد أصبح هذا التعبير سمة على لسان معارضي حزب الله وبالأخص رجال الدين السنة. أحاديث كرايسز جروب مع قادة السلفية والشيوخ، طرابلس، حزيران (يونيو) - تموز (يوليو) 2006 وأيار (مايو) 2007. أنباء ازدياد النفوذ الإيراني على دمشق، قد أطلق القول والتكهن لدى المراقبين في الخارج حول إيرانية أو تشيع سوريا. انظر أندرو

تايلر بعنوان "المُحفزون للتحويل الديني" (Catalytic Converters) مجلة النيويورك تايمز، 29 نيسان (أبريل) 2007.

P(T177T)P "عين العاصفة: تحويل سوريا إلى إيرانية" ( Eye of the Storm: ) P(T177T)P "عين العاصفة: تحويل سوريا إلى إيرانية" ( Eye of the Storm: ) P(T177T)P "عين العاصفة: تحويل سوريا إلى إيرانية" ( Eye of the Storm: ) P(T177T)P

2006. P(T178T)P في الحملة للانتخابات البرلمانية التي جرت في أيار (مايو) 2007، على سبيل المثال، مرشحون عديدون رجعوا إلى مصادر دينية لإضفاء الشرعية، تعويضاً عن حقيقة أنهم لا يملكون أي برامج سياسية.

P(T179T)P في الأشهر التي تلت الحرب، ومع أن الشعب السوري حياً أداء حزب الله العسكري، فقد انقلب بسرعة وبشكل مذهل ضد الحركة الشيعية. هذا بكل تأكيد، نتيجة الاصطفاف الحاد الخارج من العراق. الصورة البشعة لإعدام صدام حسين، والتشفي الذي أظهره ونطق به الحراس الشيعة، كانتا نقطة التحول في تركيز العداء نحو الشيعة. عدد من السوريين السنة، والذين كانوا فيما مضى غير مكثرئين بصدام حسين ومؤيديين لحزب الله، تحولوا فجأة وبشكل غاضب ضد الشيعة بعد أن شاهدوا تلك المناظر على التلفزيون. مقابلات كرايسز جروب، كانون الثاني (يناير) 2007.

المقررات الأساسية للعلاقة إذن، هي دايمنكية إقليمية وليست لبنانية. الأسلحة التي قدمتها إيران إلى حزب الله، لا تهدف إلى إقامة جمهورية إسلامية، ومساعداتها المالية والمادية ليست من أجل تحسين الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية للمجتمع الشيعي في لبنان. حتى عندما يؤيد المصالح السورية - على سبيل المثال بمعارضة المحكمة الدولية - فإن حزب الله لا يسعى إلى إعادة الوصاية السورية على لبنان. الفرقاء الثلاثة لهم أولوياتهم الخاصة، بيد أن الاعتبار الرئيسي، في بيئة إقليمية شديدة الاصطفاف، هو تقوية التحالف ضد العدو المشترك. النتيجة ليست دائماً واضحة المعالم، والفرقاء منغمسون باستمرار في سلسلة من الصفقات الضمنية.

الأحداث الأخيرة التي تحيط بالغيلان السياسي في لبنان، هي دليل واضح على ذلك. في عام 2005، نظم حزب الله مظاهرات حاشدة لتقديم الشكر إلى دمشق، والإعراب عن الامتنان لوجودها العسكري، لأن مصالح سورية حيوية كانت معلقة في الميزان، وعلى الرغم من دفع ثمن داخلي باهظ لقاء ذلك. جهود حزب الله اللاحقة لوقف إنشاء المحكمة الدولية، نالت من سمعته، حيث أظهرته بأنه ينفذ ما تأمر به سوريا، وأفقدته الكثير من التعاطف الذي ناله في الأوساط غير الشيعية، نتيجة لحرب 2006، وزادت من حدة الانقسام الطائفي في لبنان. عدم رغبة إيران في تجاهل الاعتراضات السورية، كذلك، حكمت بالفشل على جهود الوساطة التي بذلتها، بالاشتراك مع السعودية، وبالتالي إفشال أحد أهداف طهران الإقليمية. وبسبب أن سوريا تعتبر المحكمة الدولية خطأ أحمر، فإن جهداً أمريكياً ظاهراً لزعزعة النظام، وبالتالي إضعافاً مميّناً، قد حدا بحزب الله وإيران إلى إخضاع مصلحتهما إلى الهدف الأكبر المتمثل في وقف تلك المحاولة، عن طريق إطالة الأزمة السياسية المتحكمة في لبنان.

العلاقة يمكن أن تعمل في الاتجاه الآخر أيضاً: في آب 2006، شعرت سوريا بأنها مضطرة لقبول القرار 1701، على الرغم من القلق الكبير من نشر قوات الأمم المتحدة على حدودها<sup>P(T182T)</sup>، وإلى حد كبير لأن حزب الله كان في حاجة إلى إنهاء الحرب، قبل أن تستنفذ منه خسائر فادحة أكبر<sup>P(T183T)</sup>. السؤال هو، ولا يجد جواباً حتى الآن، ما إذا كانت العلاقة سوف تبقى إذا ما تعارضت المصالح الحيوية لفريقيين منهما - في حالة الوصول إلى اتفاقية سلام بين إسرائيل وسوريا مثلاً. أقل تأكيداً هو أن علاقاتها سوف تقوى وتعزز في جو من المجابهة الإقليمية.

النظام السوري. بعضهم يبرز القمع الوحشي للإخوان المسلمين في عقد 1970 و1980، كدليل على أجنحة معادية للإسلام<sup>P(T180T)</sup>؛ آخرون ينتقدون بشدة توجهاته السلطوية. السكوت السوري خلال حرب 2006، تبعه السرعة التي ادعت فيها سوريا لنفسها دوراً مهماً في "النصر الإلهي" الذي أحرزه حزب الله، أثار مرارة عميقة في صفوف عامة الأعضاء. وقد نفى أحد أعضاء المجلس السياسي أية علائق عاطفية بقوله: "علاقتنا هي سياسة تماماً"<sup>P(T181T)</sup>. ومن جانبها، فإن سوريا، في ضوء رغبتها الملحة في مجابهة محكمة دولية ترى أنها أداة في يد سياسة أمريكية معادية، كانت ربما تفضل أن ترى الحزب الشيعي ينتهج سياسة أكثر شدة في لبنان، كوسيلة لإحباط العملية القضائية، وإسقاط حكومة السنيورة.

التناقضات بين إيران وسوريا عميقة وهي تتواجد على امتداد جميع الساحات الإقليمية، وبينما استبعدت إيران أي تعامل مع إسرائيل، وتدعو علناً إلى تدميرها، فإن سوريا تؤكد مراراً وتكراراً استعدادها للتفاوض، وإذا ما تم التوصل إلى اتفاقية سلام، تطبيع العلاقات معها. منذ حرب العراق، أيدت إيران تأييداً كثيفاً الجماعات الشيعية والمليشيات؛ أما سوريا وعلى الرغم من أنها عززت علاقاتها مؤخراً مع الحكومة المركزية، فإنها قدمت المساعدات للجماعات السنية المقاومة وإلى البعثيين السابقين الذين يعتبرون إيران عدواً رئيسياً. وأخيراً، فإن البلدين لهما أولويات مختلفة في لبنان. سوريا، في تصميمها على إيقاف المحكمة الدولية بأي ثمن تقريباً، تبدو مستعدة لزعزعة استقرار جارتها، حتى وإن أدى ذلك إلى اصطاف أكبر، وبالتالي توصيف حزب الله أكثر فأكثر كحزب طائفي. تطلعات إيران نحو قيادة إسلامية، جنباً إلى جنب مع رغبتها في إنقاذ استثمارها عبر السنين في حزب الله، يتطلب الابتعاد عن مجابهة داخلية خطيرة على أسس طائفية، كما أن إيران ترغب في إصلاح علاقاتها مع الرياض، عن طريق إطلاق جهد وساطة مشتركة، وهو جهد تعطل لأنه تجاهل قلق سوريا فيما يتعلق بالمحكمة الدولية. وعلى الرغم من أن العلاقات بين حزب الله وإيران تشكل الحلقة الأقوى في هذا التحالف الثلاثي، فإن سوريا تظل لا غنى عنها للطرفين.

في نهاية الأمر، وعلى الرغم من مفاوضات وتنازلات كثيراً ما تكون صعبة، يبدو أن الفرقاء الثلاثة قادرين على وضع خلافاتهم وتناقضاتهم جنباً، عند الضرورة، من أجل دعم أولويات استراتيجيات مشتركة. العلاقات ظلت قوية ومتماسكة لأسباب مختلفة، وفي أوقات مختلفة؛ اليوم، فإن ما يجمع بينها هو الكفاح المشترك ضد إسرائيل، والأكثر أهمية انطباعاتها حول تطلعات الهيمنة الأمريكية. وفي لغة حزب الله، فإنها تشكل عماد "جبهة الممانعة"، والتي تعتبرها مفتوحة أمام كل من يرغب في تحدي النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، سواء كانت حماس، أو الأحزاب اللبنانية الصغيرة المؤيدة لسوريا، وسوريا أو إيران.

<sup>P(T182T)</sup> هدّدت سوريا بإغلاق حدودها مع لبنان، إذا نُشرت قوات الأمم المتحدة هناك، وهو عمل وصفته بأنه بمثابة إعلان حرب. "سوريا تحذر حول قوات حفظ السلام"، إذاعة الهيئة البريطانية B.B.C، 24 آب (أغسطس) 2006.  
<sup>P(T183T)</sup> مقابلة كرايسز جروب، نواف الموسوي، مسؤول حزب الله عن الشؤون الخارجية، بيروت، 18 آب (أغسطس) 2006.

<sup>P(T180T)</sup> مقابلات كرايسز جروب مع أعضاء حزب الله، البقاع، جنوب لبنان، شباط (فبراير) - حزيران (يونيو) 2007.  
<sup>P(T181T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع عضو المجلس السياسي لحزب الله، بيروت، 23 تشرين الثاني (نوفمبر) 2006.

## 5. الخاتمة

بري مثل هذه المبادرة العالية، دون مباركة منها. وقد تضاعفت اللقاءات بين الأغلبية والمعارضة.

التخفيف النسبي لموقف المعارضة، له عدة تفسيرات محتملة. إنه قد يعكس ببساطة الشعور بأنه لا فائدة تُرجى من حكومة وحدة وطنية، حيث سوف تعين حكومة جديدة بعد الانتخابات. وقد تكون المعارضة قد توصلت إلى نتيجة مفادها أن الاستراتيجية البديلة - سد الطريق أمام الانتخابات، وإذا ما انتخبت قوى الرابع عشر من آذار رئيساً، بأغلبية بسيطة، يتوجب عليها بالتالي خلق مؤسسات حكومية موازية، فإن الموقف يصبح أكثر خطورة ومغامرة. مثل هذه الحكومة الموازية بالكاد تكون لها أية سلطة، ولن يعترف بها سوى سوريا وإيران، وبالتالي تكريس عزلتها. أية فوضى تنتج عن ذلك سوف تكون باهظة الثمن لحزب الله، وبالتالي لإيران. وقد رأى دبلوماسي غربي في ذلك حركة سورية ماهرة: "من خلال مبادرة بري، تحافظ سوريا على النقض بالنسبة للرئيس. وفي نهاية اليوم، يمكن أن تحصل على رئيس يمكن التعايش معه، وحكومة لاحقة مع وجود معارضة قوية، والإشادة من المجتمع الدولي لتعاونها"<sup>P(T188T)</sup>. ونتيجة لذلك، وكما قال رئيس الوزراء السابق نجيب ميقاتي "كان يعتبر إيجاد حلّ مهمة مستحيلة. وقد أصبحت الآن مجرد مهمة صعبة"<sup>P(T189T)</sup>.

وما بعد تحديد انتخاب رئيس مقبول، فإن أي حل يجب أن يتعامل مع قضية أسلحة حزب الله، والتي لا يمكن أن تُحلّ حلاً كاملاً (نزع السلاح الآن لا يمكن تحقيقه)، أو تجاهله كلياً (كثير من اللاعبين المحليين والإقليميين يخشون قوة الحركة العسكرية). وبدلاً من ذلك، تحتاج المسألة إلى أن ينظر إليها بطريقة تأخذ في الحسبان حقيقة أن جزءاً من الشعب ينظر إلى تلك الأسلحة كدرع، والجزء الآخر ينظر إليها كتهديد.

حزب الله نفسه يواجه معضلته الذاتية. للحفاظ على أسلحته، وعلى تصوره لدور لبنان الإقليمي، فقد اختار أن ينافح الحكومة، وبعمله هذا، عمق من الخلافات الطائفية، وبتعميقه للخلافات الطائفية، فإنه يُهدد أسلحته وتصوره للبنان سواءً بسواء. هذا يشكل فرصة. تبعاً لمعظم التقارير، فإن الحركة تسعى إلى مخرج من الأزمة المستحكمة، التي ساهمت بكثافة في إيجادها. إنها لن تفعل ذلك بأي ثمن. إنها لن تُضحى بأسلحتها، (وبكل تأكيد، ليس في وقت تتصاعد فيه المخاوف الطائفية والتوتر الإقليمي)<sup>P(T190T)</sup>، ولمبدأ المقاومة، أو تحالفها مع سوريا

<sup>P(T188T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي غربي، نيويورك، 26 أيلول

(سبتمبر) 2007.

<sup>P(T189T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع نجيب ميقاتي، بيروت، 13 أيلول

(سبتمبر) 2007.

<sup>P(T190T)</sup> في مقابلة كرايسز جروب، أوضح أحد قادة حزب الله هذه النقطة

بشكل واضح، مؤكداً المخاطر التي تتطوي عليها إثارة نزع السلاح في الوقت الحاضر. وقد شكوا بمرارة حول مصادرة الجيش للأسلحة "يطلب من السنيرة"، وهي مخالفة كما قال لبرنامج الحكومة الذي يعترف بشرعية المقاومة المسلحة. بعض المحللين يقولون بأن الضغط على حزب الله لنزع السلاح، سوف يزيد زيادة مهمة، إذا أمكن تلبية بعض مطالبها، مثل استرداد مزارع شبعا، وإطلاق سراح السجناء أو إنهاء الطيران الإسرائيلي في سماء لبنان. إنهم محقون في قولهم هذا، فإن تلك الخطوات، بكل تأكيد، تجعل حجج حزب الله أقل قبولاً. ولكن ليس من المحتمل أن تؤدي بها إلى نزع سلاحها. هذه "التهديدات المباشرة"، كما يسميها مصطفى الحاج علي، عضو المجلس

إشارات متناقضة تصدر من لبنان. فمن ناحية، استؤنفت دورة عدم الاستقرار العنيفة والخطابات الملتهية، باغتيال أنطون غانم في 19 أيلول 2007، وهو عضو في جبهة 14 آذار البرلمانية. قوى 14 آذار رأت في الاغتيال يد سوريا، ورددت ذلك واشنطن وباريس. اتهمت الأغلبية اللبنانية دمشق بالسعي لإزالة غالبيتها النيابية عن طريق اغتيال نواب الأغلبية خطوة بعد خطوة. وقد ألغى وزير الخارجية الفرنسي اجتماعاً مقرراً مع مثيله السوري موضحاً بأنه "صعق من هذا الاغتيال الأخير"<sup>P(T184T)</sup>. وقد ذهب سعد الحريري إلى أبعد من ذلك قائلًا إن النظام في سوريا لن يتوقف أبداً عن القتل "لأنه نهج"، ومختتماً الحديث بالقول "إن الحلّ ليس فقط بالتخلص من نظام صدام حسين، ولكن نظام بشار أيضاً"<sup>P(T185T)</sup>. الميليشيات أيضاً تعيد تسليح نفسها بوتيرة مرعبة، وبالأخص بين مختلف الطوائف المسيحية المتناحرة.

ومن الناحية الأخرى، يظل هناك أمل في عقد صفقة حول أكثر القضايا إلحاحاً، انتخاب رئيس جديد. حتى بعد الاغتيال، تعرب الأصوات الصادرة من الطرفين عن أملها بأن حلاً متفق عليه يمكن التوصل إليه، بينما الأطراف الخارجية (فرنسا والسعودية وإيران بشكل خاص)، تبدو راغبة في إيجاد مخرج، بالتركيز على مرشح يحظى بقبول الجميع، بدلاً من مرشح يُبني أجندتها الخاصة بها"<sup>P(T186T)</sup>. المبادرة -التي يقودها نبيه بري- والتي بموجبها تتخلى المعارضة عن طلبها إقامة حكومة وحدة وطنية، في هذه المرحلة، شريطة اتفاق الفرقاء على المرشح الإجماع بأغلبية ثلثي الأعضاء. وقد استقبلت المبادرة بترحاب من قبل الأحزاب على امتداد الساحة"<sup>P(T187T)</sup>. كما أنها، بكل تأكيد حظيت بمباركة سورية، حيث أن من الصعب التخيل بإطلاق

<sup>P(T184T)</sup> Naharnet، 27 أيلول (سبتمبر) 2007. سُئل إذا كان

لدى حكومته أي دليل حول اشتراك سوريا، أجاب دبلوماسي فرنسي: "لا دليل، لاشك"، مقابلة كرايسز جروب، نيويورك، 26 أيلول (سبتمبر) 2007. المعارضة وسوريا نفتا الاتهام، قائلين إن الاغتيال هدف إلى نسف مبادرة نبيه بري لإيجاد مرشح وسط.

<sup>P(T185T)</sup> نهارنت، 27 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T186T)</sup> وفق وليد جنبلاط، أحد قادة تجمع 14 آذار، فإن الرياض تضغط على الحريري لقبول مرشح رئاسي وسط. جنبلاط لم يُخف كراهيته لذلك، قائلاً إن رئيساً مستقلاً فقط، وعلى استعداد للدفاع عن لبنان في وجه سوريا، يمكن أن يحمي ثورة الأرز. وحثّ بأنه لن يؤيد قرار يأخذه تجمع 14 آذار، لانتخاب رئيس غير مستعد لتخليص لبنان من أي نفوذ سوري باق. علينا أن نتمسك بموقفنا، ونحن لا نستطيع أن نخون مبادئنا، ومواقفنا المستقلة، أو الشعب الذي وثق بتلك المثل. فقط بثباتنا يمكننا أن نربح، وإي تساهل ينذر بوضع لبنان في منطقة النفوذ الإيراني، أو المحور الإيراني السوري. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 17 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T187T)</sup> هذا يمثل ارتداداً من جانب المعارضة. ففي تموز وآب 2007، وفق المصادر السعودية والفرنسية، فإن محاولة لإقناع الفرقاء اللبنانيين لإعطاء المعارضة أقلية مانعة، ضمن حكومة وحدة وطنية، في الوقت الذي تتم فيه الموافقة على مرشح رئاسي، فشلت عندما اشترط حزب الله، بإيحاء من دمشق وطهران، بأنه سوف ينظر في انتخابات الرئاسة فقط، بعد تشكيل الحكومة الجديدة. كان هذا غير مقبول لدى 14 آذار، التي خشيت بأن المسألة الرئاسية ستظل بدون حل، وأنه إذا عمد إلى إسقاط الحكومة، فإن المعارضة سوف تخلق فراغاً دستورياً. مقابلات كرايسز جروب مع المسؤولين السعوديين والفرنسيين، الرياض وباريس، تموز (يوليو) - آب (أغسطس) 2007.

إضافة إلى ذلك، فإن البيان الحكومي يجب أن يدعو إلى إقامة علاقات سلمية مع سوريا، بما في ذلك إقامة علاقات دبلوماسية طبيعية، وترسيم الحدود، وحل قضية اللبنانيين المختفين. وأخيراً، يدعو إلى احترام القانون الدولي، وبالأخص المحكمة التي أقامها مجلس الأمن، للنظر في اغتيال رفيق الحريري، بموجب القرار 1701.

بالنظر إلى عمق الأزمة السياسية، والحاجة إلى إضفاء وتقوية شرعية مؤسسات الدولة، يتوجب على الحكومة أن تركز أيضاً على مهمتين أساسيتين: الأولى، هي إقرار قانون انتخاب جديد يكون أكثر إنصافاً للأقليات<sup>P(T193T)</sup> الثانية، هي إعادة تعيين أعضاء المجلس الدستوري، من أجل تقليل خطر إصابة المؤسسات بالشلل، في حالة وجود تفسيرات دستورية متعارضة. صلاحيته يجب أن تكون كما وصفها اتفاقية الطائف؛ تفسير الدستور، مراجعة دستورية القوانين، وإصدار الأحكام حول الخلافات التي تتصل بالاعتراضات على نتائج الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية.

لا يجب أن يصيبنا أية آمال زائفة. حتى تلك الخطوات الطموحة، لن تفعل أكثر من ملامسة السطح، وفي أحسن الأحوال، منح لبنان فرصة لهدوء أوسع، واستئناف لحاكمية فعالة. إن من المستحيل اليوم، فصل المسألة اللبنانية عن مسألة العلاقات الأمريكية/ الإسرائيلية/ الإيرانية/ السورية. وفي أحسن الأحوال، يمكن أن يُحصّن البلد ضد أعتى وأكثر نتائج المجابهات الإقليمية ثمناً وعدم استقرار.

بيروت/ بروكسل، 10 تشرين أول (أكتوبر) 2007

وإيران، والذي له جذور تنبثق من احتياجات مادية وتقاربات أيديولوجية. حلّ سلمي يسمح للبنان، مرة أخرى، بحكم نفسه يجب أن يأخذ في الاعتبار تلك المصالح، في الوقت الذي يحُدّ فيه من حرية حزب الله في التحرك.

الافتراحتات التي قدمها المختصون المحليون، والفرنسيون وغيرهم من الوسطاء الدوليين، تشمل عناصر مهمة من صفقة اتفاقية ممكنة. صيغة مبنية على ذلك سوف تشمل:

□ الاتفاق على أن الرئيس يجب أن يختار بالإجماع؛ أي بثلاثي أعضاء مجلس النواب. هذا العنصر مهم لأن البديل – رئيس يتم انتخابه بأغلبية بسيطة- يمكن أن يدفع بالمعارضة، وقد هدّدت بذلك إلى إقامة حكومة موازية. إن ذلك ينطوي على تنازل كبير تجاه المعارضة، مقابل أن تتفق المعارضة مع قوى 14 آذار على انتخاب رئيس مناسب؛ و

□ إقرار برنامج حكومي يلبي حاجات كافة الفرقاء. هذا البرنامج يعيد تكرار تأييد الحكومة لمبدأ المقاومة (على أسس مؤقتة)، من أجل تحقيق الأهداف الوطنية (إطلاق سراح السجناء اللبنانيين وتحرير الأراضي اللبنانية المحتلة)، في الوقت الذي تفرض فيه قيود صارمة على استخدامها. حزب الله يوافق على اتخاذ موقف دفاعي صرف، وأن يُعلق عملياته العسكرية في مزارع شبعا، حتى يعطي الفرصة للدبلوماسية<sup>P(191)</sup>.

وبعبارات أخرى، يجب أن يصبح حزب الله مسؤولاً بشكل علني عن استخدامات سلاحه، وتجنب ما يطلق عليه معارضوه "بمغامرة"، تموز 2006، والتركيز على استراتيجية الردع. وعلى الرغم من التحفظ، فقد أبدى بعض قادة حزب الله إلى Group Crisis استعداد الحزب للنظر في مثل تلك الصيغة، في إطار حكومة وحدة وطنية، تعترف بشرعية المقاومة إلى أن يحين الوقت لإقرار استراتيجية دفاع وطني(192).

السياسي للحركة، هي شيء؛ ولكن مثلها في الأهمية هي "التحديات غير المباشرة" التي تشمل "طبيعة إسرائيل التوسعية". وبعبارات أخرى فإن تبرير حمل حزب الله للسلاح، له علاقة بالمحافظة على "جبهة الرفض"، ومقاومة المطامع التوسعية والهيمنة لكل من إسرائيل والولايات المتحدة. مقابلة كرايسز جروب مع مصطفى الحاج علي، بيروت، 23 تموز (يوليو) 2007. وأضاف تيمور جوكسل قائلاً: "منذ عام 2000، حزب الله يدرك بأن المبررات للمقاومة قد أصبحت ضعيفة بشكل متزايد. لذا، فإنه يتمسك بالحجج التي لديه. اليوم، هي مزارع شبعا. ولكن إذا حُلّت تلك القضية، فإن الحركة سوف تجد عذراً جديداً: المياه، القضية الفلسطينية، أو شيء آخر". مقابلة كرايسز جروب، بيروت 16 آب (أغسطس) 2007.

<sup>P(T191T)</sup> بشكل متزايد، أبدت سوريا مؤخراً، أنها مستعدة لقبول أن تتولى الأمم المتحدة مزارع شبعا كإجراء مؤقت – وهو موقف- إذا تأكد يمكن أن يُنتج مخرجاً مهماً. هارتس 26 أيلول (سبتمبر) 2007.

<sup>P(T192T)</sup> مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول حزب الله، بيروت 17 أيلول (سبتمبر) 2007. نعيم قاسم دعا إلى وضع خطة دفاع وطني، التي من شأنها أن تجعل الجيش اللبناني المحور الرئيسي في القوات اللبنانية. ضمن ذلك الإطار، تكون المقاومة في وضع المُساندة. النهار 27 أيلول (سبتمبر) 2007. وقال نبيه بري متحدّثاً باسم أمل: "الحدود الجنوبية ليست فقط للشبيعة أو أمل أو حزب الله. هؤلاء لا يستطيعون وحدهم أن يكونوا مسؤولين عن الوضع، أو اتخاذ قرارات وطنية، أو فرض فيتو على القرارات الاستراتيجية". حصلت

كرايسز جروب على هذه المقابلة من دائرة العلاقات الخارجية لحركة أمل، بيروت.

<sup>P(T193T)</sup> أحد الخيارات يمكن أن يكون قانون الانتخاب الذي أوصت به لجنة بطرس التي عينتها الحكومة، والتي تنص على أن يأخذ من يربح كل المقاعد وأنظمة تمثيل نسبي.



## الملحق أ

### خارطة لبنان

